الفصل الرابع

منتخبات من شعر المتنبى *

١ ـ الشاعر الغنائى

ا ـ التوثب والطموح

دل شعر المتنبى فى كل صوره وألوانه وخاصة فى صدر حياته ـ على توثب وطموح لتحقيق أمر يضمره الشاعر ، وبدت صور هذا التوثب بعزيمة واستعداد ، أو بتوعد وتهديد ، أو باعتزاز بالنفس ، ونماذج هذه الطفرة الروحية فى شعر أبى الطيب تدل على اتجاهه الذى كان أبداً يسعى إليه .

وثبة ماجد

إلى أىّ حينٍ أنتَ فى زِىِّ مُحْرِمِ ... وحتى متى فى شِقْوَةٍ وإلى كَمِ [١]
وإنْ لا تمتْ تحتَ السّيوف مكرَّماً ... تَمُتْ وتقاسِى الذلَّ غيرَ مُكَرَّمِ
فثِبْ واثقاً بالله وثْبَةَ ماجِدٍ ... يرى الموت فى الهيْجَاجَنَى النَّحْلِ فى الفمِ [٢]

وسائل العلا

تُحَقِّرُ عندى همتى كلَّ مَطْلَبٍ ... ويقْصُرُ فى عينى المدَى المتَطَاوِلُ

---

* أثبتنا فى هذا الفصل النماذج المنتقاة التى تتصل بموضوع الكتاب وتطلب القصائد برمتها فى الديوان .

(١) زى محرم : أى عريان من ثياب مثل حاج محرم عليه لباس الإحرام ، وهذا خطاب من الشاعر لنفسه فى أول حياته حين كان فقيراً .

(٢) فثب : فعل أمر من وثب . الهيجاء : الحرب تمد وتقصر . وجنى النحل : ما يجنى من عسلها أى يلذ طعم الموت حتى كأنه من حلاوته عسل .

وما زلتُ طَوْدًا لا تزولُ مناكِبي ... إلى أنْ بدتْ للضيم فىَّ زلازلُ[١]

كأنى من الوَجْناءِ فى ظَهْرِ مَوْجَةٍ ... رَمَتْ بى بحارًا ما لَهُنَّ سَواحلُ[٢]

يُخيَّلُ لى أن البــلادَ مسامعى ... وأنىَ فيهــا ما تقولُ العَواذِلُ

ومن يَبْغ ما أَبْغى من المجد والعُلاَ ... تساوَى المحَايا عندَهُ والمَقاتلُ[٣]

ألا ليست الحاجاتُ ، إلاَّ نفوسَكُمْ ... وليس لنــا إلا السيوفَ وسائلُ

ابن الطعان

ليسَ التعللُ بالآمــال من أَرَبى ... ولا القناعَــةُ بالإقلالِ من شيمى

ولا أَظنُّ بناتِ الدهرِ تتركنى ... حتى تَسُدَّ عليها طُرْقَها هِمَمى[٤]

لُم الليالى التى أَخْنَتْ على جِدتى ... بِرقَّةِ الحال واعذرْنى ولا تَلُمِ[٥]

أرى أُناساً ومَحْصُولى على غَنَمٍ ... وذكْرَ جودٍ ومحصولى على الكَلِمِ

ورُبَّ مــالٍ فقيرًا من مروءته ... لم يُثْرِ منها كما أَثْرى من العَدَمِ

سَيَصْحَبُ النَّصْلُ منى مثْلَ مَضربه ... وينجلى خَبَرى عن صمَّةِ الصَّمَمِ[٦]

---

(١) الطود : الجبل . والمناكب : الأعالى .

(٢) الوجناء : الناقة الشديدة . تصور الناقة وهو عليها كأنها ظهر موجة والبيداء كالبحر فهى تهوى به أو تعلو وهو يذكر ببيت لشاعر قديم هو الأعشى :

كأن راكبها وهن بمروحة ... إذا تهاوت به أو شارب ثمل

فكلا الشاعرين يصور ركوبه الناقة على الصورة التى يتمثلها والمروحة المكان تكثر فيه الريح .

(٣) المحايا : جمع المحيا أى الحياة .

(٤) بنات الدهر : المصائب والحوادث .

(٥) أخنى عليه : أهلكه . والجدة : الغنى واليسار .

(٦) الصمة : الشجاع . ومنه سمى دريد بن الصمة أى ابن الشجاع .

لقد تَصَبَّرْتُ حتى لاتَ مُصْطَبَرٍ ... فالآنَ أُقْحَمُ حتى لاتَ مقتحمِ[1]

لأَتْرُكَنَّ وجوهَ الخيل ساهمةً ... والحربُ أقومُ من ساقٍ على قدمِ[2]

والطعنُ يُحْرِقُها والزجرُ يُقْلِقُها ... حتى كأَنَّ بها ضرباً من اللَّمَمِ[3]

رِدى حياضَ الرَّدى يانفْسُ واتَّركى ... حياضَ خوف الرّدى للشّاء والنَّعَمِ

إنْ لم أُدِرْكِ على الأَرْماح سائلةً ... فلا دُعيتُ ابن أُمِّ المجد والكرمِ

أَيَمْلكُ المُلْكَ والأَسْيافُ ظامئةٌ ... والطيرُ جائعــةٌ لحمٌ على وَضَمِ[4]

ميعادُ كلِّ رقيق الشّفرتين غَدًا ... ومنْ عَصى من ملوك العُرْب والعَجمِ

فإنْ أجابوا فما قَصدى بها لَهُمُ ... وإنْ تَوَلَّوْا فما أَرْضَى لها بهمِ

الجلد الشجاع

أبا عَبْــد الإلهِ مُعــاذُ إنى ... خَفِىٌّ عَنْكَ فى الهَيْجَا مُقامِى[5]

ذكرْتَ جسيمَ ما طلبى وأنّا ... نُخــاطر فيه بالمُهَجِ الجسامِ

---

(١) التاء فى لات زائدة كزيادتها فى ثم ورب والجر بها قليل . الاقتحام: الدخول فى الأمور بجهد .

(٢) الساهمة : المتغير وجوهها .

(٣) اللمم : الجنون .

(٤) الوضم : الخشبة التى يوضع عليها اللحم . وقد اختلف الشراح فى معنى هذا البيت لأنهم رووا كاف الملك بالفتح فلم يردوا المعنى إلى ضمير وبتحريك هذه الكاف بالضم يتضح المعنى وهو تهديد لكل ملك مستبد ويفسر هذا المقصد فى البيت الذى بعده والشاعر يريد أن يقول : أيملك الملك هذه البلاد فى وسط قوم أسيافهم ظامئة إلى رأسه وقد باتت بلاده جائعة فالطير تحوم عليها هزيلة . على أن فى تحريك الكاف بالفتح يكون الفاعل (لحم على وضم) وهو الذليل ويكون المعنى : أيملك الملك رجل ذليل فى حين تتعطش السيوف إلى رأسه .

(٥) هو أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقى الذى نزل الشاعر عنده باللاذقية .

أمثلى تأخذُ النَّكَباتُ منه ... ويجزعُ من مُلاقاة الحمامِ
ولو بَرَزَ الزمانُ إلىَّ شخصاً ... لخضَّبَ شعْرَ مَفْرقه حُسامى
وما بلغَتْ مشيئَتَها الليالى ... ولا سارَتْ وفى يدها زمامى
إذا امتلأَتْ عيونُ الخيل منى ... فويلٌ فى التّيقّظِ والمنامِ

ب ـ التنقل فى البلاد

ولا بد لمن يطلب المجد أن يطلبه فى كل مكان وأوان فإذا ضاق به بلد تركه إلى سواه سعياً وراء أمانى النفس ورغبات الهمة والعزم :

الرحالة

أواناً فى بيوت البَدْوِ رَحْلىَّ ... وآونةً على قَتَدِ البعيرِ
أُعرِّضُ للرماح الصُّمِّ نحرى ... وأنصبُ حُرَّ وجهى للهجير[1]
وأسرِى فى ظلام الليل وحدى ... كأنى منه فى قمر منير[2]

طَلاب الغرر

لا أقترى بلدًا إلا على غَرَرٍ ... ولا أمُرُّ بخلْقٍ غير مضطغِنِ[3]
ومدقعين بسبروتٍ صحبتُهُمُ ... عارينَ من حُلَل كاسين من دَرَن[4]

---

(١) الهجير : حر الظهيرة وهى نصف النهار .
(٢) أسرى : أسير ليلا .
(٣) أقترى : أتتبع . والغرر : الخطر . ومضطغن : الحاقد ذو الضغن .
(٤) المدقع : الجالس على الدقعاء وهو التراب أى الفقر . السبروت الأرض لا نبات فيها وهى البادية . والدرن : الوسخ .

خرّابِ بادية غَرْثى بطونُهم مُكْنُ الضِّباب لَهُمْ زادٌ بلا ثمن[١]
يستخبرون فلا أُعطيهُمُ خبرى وما يطيش لهم سهمٌ من الظَّنَنِ

البغية السامية

تَغَرَّبَ لا مستعظماً غير نَفْسِهِ ولا قابِلاً إلا لخالقِهِ حُكْمَا[٢]
ولا سالكاً إلا فــؤاد عجاجة ولا واجدًا إلا لمكرمة طعما[٣]
يقولون لى ما أنت فى كل بلدة ؟ وما تبتغى؟ما أبتغى جَلَّ أن يُسْمَى!

جبل وبحر

وكم من جبالٍ جُبْتُ تشهد أننى الـ جبالُ وبحْر شاهدٍ أننى البَحْرُ
وخرق مكانُ العيس منه مكاننَا من العيس فيه واسط الكور والظهرُ[٤]
يخدن بنــا فى جوزه وكأننا على كرة أو أرضه معنا سَفْرُ[٥]
ويومٍ وصلنــاه بليــلٍ كأنما على أُفْقه من بَرْقِهِ حُلَلٌ حُمْرُ
وليــل وصلناه بيومٍ كأنمــا على متنِهِ من دَجْنِهِ حُلَلٌ خُضْرُ[٦]

(١) غرثى : جائعة ومكن الضباب بيضها والضباب جمع ضب وهو حيوان صحراوى صغير .
(٢) الضمير فى فعل تغرب يعود إلى أبى الطيب فى كلامه عن نفسه .
(٣) العجاجة : غبار الحرب .
(٤) الخرق : الصحراء تخرقها الرياح . والعيس : الإبل مفردها عيساء ، أى جبت صحراء واسعة وكأنى حين توسطتها كنت فيها كما أنا راكب وسط البعير والبعير متوسط أرجاءها .
(٥) من جميل ما اتفق لأبى الطيب أن يشير من غير أن يقصد دليل العلم إلى كروية الأرض وأن تظهر له التجربة وهو يسير فى بيداء لا تنتهى وكلما انتهت تجددت فكأنه يسير على ظهر كرة ثم ينقل الصورة إلى أن الأرض تسير معه من طولها فهى مسافرة ، ويخدن من الوخيد وهو نوع من سير الإبل .
(٦) المتن : الظهر ، والدجن : الظلام .

ثلوج لبنان

وعِقابُ لُبْنـــانٍ وكيْفَ بقطعها ... وهُوَ الشتاءُ وصَيْفُهنَّ شتاءُ[1]

لبس الثلوجُ بها عَلَىَّ مسالِكى ... فكأنّهـــا بِبياضهـــا سَـــوْداءُ

موجة الريح

أَلِفْتُ ترحُّـــلى وجعَلْتُ أرضى ... قُتـــودى والغَريرىَّ الجُلالا[2]

فما حاولتُ فى أرضٍ مُقامـــاً ... ولا أزْمَعْتُ عن أرضٍ زَوالا

على قَلَقٍ كأنَّ الرّيحَ تحتى ... أُوجِّهُهـــا جنوباً أو شِمالا

ج ـ الغزل

قيل إن أبا الطيب تكلف الغزل على عادة الشعراء فلم تكن له عاطفة العاشق المتيم، وقد علل النقاد هذا الرأى بأن المتنبى غلب عقله على عاطفته ، لكن قصائد المتنبى نفسها هى التى تدل على إحساسه الرقيق فى الأبيات التى عبر فيها عن هواه ولم يستطع أن يخفى هذه الحقيقة ، وقد جاءت صور الغزل فى هذه الأبيات المتفرقة بدوية الأوصاف والملامح فلسفية المعانى أحياناً فيها محاكاة وتكرار ، لكن روح العشق مشت فى ألفاظها وقوافيها ، وهذه أبيات منها :

البدوية

مَن الجآذِرُ فى زِىِّ الأعاريبِ ... حُمْرُ الحُلى والمَطايا والجلابيب[3]

---

(١) عقاب الجبل : شواهقه وشمه .

(٢) القتود : الرحل وهو ما يوضع على ظهر المطية . الغريرى : فحل من الإبل فى الجاهلية تنسب إليه عرق أجودها . الجلال : الجليل كالطوال والطويل . والجلال : الضخم أيضاً كما ورد فى شرح العكبرى ج ٣ ص ٢٢٥ .

(٣) الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد المهاة .

ما أَوْجُهُ الحَضَرِ المستحسناتُ به ... كأَوجُهِ البدويّات الرعابيبِ [١]

أين المَعيزُ من الآرامِ ناظرةً ... وغير ناظرةٍ فى الحسن والطيب [٢]

أفدى ظباءَ فلاةٍ ما عَرَفْنَ بها ... مَضْغَ الكلامِ ولا صَبْغَ الحواجيبِ

ولا برَزْنَ من الحَمَّامِ مائلةً ... أَوْراكُهُنَّ صقيلاتِ العراقيبِ [٣]

ومن هَوَى كلَّ مَنْ لَيْسَتْ مُمَوَّهَةً ... تركتُ لَوْنَ مشيبى غيرَ مَخْضوب [٤]

العاشق المبتلى

وما كُنْتُ ممن يَدْخُلُ العشْقُ قَلبَهُ ... ولكنَّ مَنْ يُبْصرْ جُفونَك يَعْشَقِ

وبَيْنَ الرِّضَى والسُّخْط والقُرْبِ والنوى ... مجالٌ لدَمْعِ المقــلةِ المترقرقِ

وأَحْلَى الهوى ماشَكَّ فى الوصْلِ رَبُّهُ ... وفى الهَجْر فَهوَ الدهر يرجُو ويتقى

وغضبى من الإدْلالِ سَكْرى من الصِّبَا ... شَفَعْتُ إليها من شبابى بريِّقِ [٥]

وأَشنبَ معسول الثنياتِ واضحٍ ... سَتَرْتُ فَمِى عنهُ فقَبَّلَ مَفْرِقى [٦]

وأَجيادِ غِزلانٍ كجيدِكِ زُرْنَنى ... فَلَم أَتبيَّنْ عاطلاً من مُطَوَّق

وما كلُّ من يَهْوَى يَعِفُّ إذَا خَلاَ ... عَفافى ويُرْضى الحِبَّ والخيلُ تلتقى [٧]

---

(١) الرعابيب : جمع رعبوبة وهى الشابة الممتلئة .

(٢) جعل نساء الحضر كالمعزى ونساء البدو كالغزلان والظباء .

(٣) الأوراك : ما دون الخصور . والعراقيب : جمع عرقوب وهو ما دون الكعب .

(٤) التمويه : التلبيس والتصنع .

(٥) الريق : أول الشباب .

(٦) الأشنب : الثغر البراق .

(٧) الحب المحبوب ، فى هذا البيت معنى من معانى البطولة الرائعة إذ أن الفرسان يجودون بأرواحهم أمام محبوباتهم فى المبارزة والقتال وهذه الحالة التى ذكرها المتنبى حالة نفسية ظهرت على أبطال القرون الوسطى فى أوربا .

الهوى الفضّاح

وكاتمُ الحُبِّ يومَ البين منهتِكٌ ... وصاحبُ الدمع لا تَخفى سرائرُهُ
لولا ظباءُ عَدِيٍّ ما شَقيتُ بهم ... ولا برَبْرَبِهِمْ لولا جآذِرُهُ[1]
من كُلِّ أَحْوَرَ فى أَنيابه شَنَبٌ ... خَمْرٌ يُخَامِرُها مِسْكٌ تُخَامِرُهُ[2]
نُعْجٌ محاجِرُهُ دُعْجٌ نواظِرُهُ ... حُمْرٌ غفائرُهُ سُودٌ غدائرُهُ[3]
أَعَارَنِى سُقْمَ عَيْنَيْه وحَمَّلَنى ... منَ الهَوى ثِقْلَ ما تَحْوى مآزِرُهُ

الشآمية

شآميَّةٌ طالما خلوتُ بها ... تُبْصرُ فى ناظرى مُحياهَا[4]
فقبَّلَتْ ناظرى تُغالِطُنى ... وإنما قَبَّلتْ به فَاهَا
فليتها لا تزال آويةً ... وليتَهُ لا يزالُ مأْواهَا
كلُّ جَريحٍ تُرْجَى سلامَتُهُ ... إلَّا فؤادًا دَهَتْهُ عَيْناهَا
تَبُلُّ خَدَّىَّ كلما ابتسمت ... من مَطَر برْقُهُ ثناياهَا
مَا نَفَضَتْ فى يدى غدائرُها ... جَعَلْتُه فى المُدام أَفْواهَا[5]
فى بلدٍ تُضْرَبُ الحجَالُ به ... على حسانٍ وَلَسْنَ أَشباهَا[6]

(١) الربرب : قطيع المها .
(٢) الأحور : ذو الحور وهو شدة بياض العين . والشنب : صفاء الأسنان . يخامرها : يخالطها .
(٣) النعج : البيض مفرده ، أنعج . والدعج : السود . الغفائر قصاصات منسوجة تربط بها الضفائر .
(٤) المحيا : الوجه .
(٥) تنفض ضفائرها طيباً فيقع فى كأس المدام فيطيب به .
(٦) الحجال : الستور ، والظاهر أن بعض بلاد العرب فى أيام المتنبى كانت تظهر بها النساء فى غير حجب أما فى الشام فكان الحجاب يضرب عليهن .

حبيب الحسن

وما أنا إلّا عاشق كل عاشق ... أعَقَّ خَليلَيْه الصَّفيَّينِ لائمُهْ
وقد يتزيا بالهوى غيرُ أهله ... ويستصْحبُ الإنسان من لايلائمُهْ
سقَاك وحيّانا بك اللهُ إنمـا ... على العيسِ نورٌ والخدور كمائمُهْ[1]
حبيبٌ كأَن الحُسْنَ كان يحبه ... فآثره أو جار فى الحسن قاسمُهْ

الفؤاد الشيق

جَهْدُ الصبابَةِ أن تكونَ كما أرى ... عينٌ مُسَهَّدَةٌ وقَلْبٌ يَخْفُقُ[2]
ما لاح برقٌ أو ترنَّمَ طائرٌ ... إلا انثنيتُ ولى فؤادٌ شَيِّقُ
جربتُ من نار الهوى ما تنطفي ... نارُ الغَضا وتكلُّ عما يُحْرِقُ
وعذلتُ أهلَ العشق حتى ذقتُهُ ... فعجبتُ كيف يموتُ من لايَعْشَقُ

شموس الجمال

بأَبى الشموسَ الجانحات غواربا ... اللابساتِ من الحرير جَلابِبا
المنهباتِ عُقُولَنا وقلوبَنـا ... وجناتِهِنَّ النَّاهباتِ النَّاهبا
الناعماتِ القاتلات المحييا ... تِ المُبْدياتِ من الدلال غرائبا

---

(١) صورة بدوية جميلة للمرأة فى هودجها وهى عنده كالزهرة فى كمها .

(٢) غلب سائر شعر المتنبى على غزله لكن هذه النماذج التى تنخلتها من شعره تظهره فى مظهر شاعر غزل من الطراز الأول صادق الحب لطيف التعبير يحلل وفاقاً لعلم النفس التحليلى خواطره وشعوره ويمارس مع أحبائه ضرباً من الهوى الصافى العفيف الأفلاطونى .

حاولْنَ تعذيبي وخِفن مُراقبا فوضعن أيديَهن فوق ترائبا
وبَسَمْنَ عن بَرَدٍ خشيتُ أُذيبُهُ منْ حَرِّ أنفاسي فكُنْتُ الذَّائبا

نظرة وزفرة

الحُبُّ ما مَنَعَ الكَلامَ الأَلْسُنَا وأَلَذُّ شَكْوَى عَاشِقٍ ما أَعْلَنا
لَيْتَ الحَبيبَ الهاجرى هَجَرَ الكَرَى من غَيْرِ جُرْمٍ واصِلى صِلَةَ الفنا
بِنَّا ولَوْ خَلَّيْتنَا لم تَدْرِ ما أَلوانُنا مما امتُقِعْنَ تَلَوُّنا
وتوقدتْ أَنفاسُنا حتى لقد أَشفقْتُ تَحتَرِقُ العواذِلُ بينَنا
أَفدى المودِّعَتى التى أَتبعْتُها نظرًا فُرادى بين زَفْراتٍ ثُنى

أليف السقم

متى يَشتفى من لاعج الشوقِ فى الحشا مُحبٌّ لها ، فى قربه متباعِدُ
إذا كنتَ تخشى العارَ فى كل خلوة فلِمْ تَتَصبَّاكَ الحسانُ الخرائدُ
أَلحَّ علىَّ السُّقْمُ حتى أَلفتُه ومَلَّ طبيبي جانبي والعَوائدُ
مررتُ على دارِ الحبيب فحمحمت جيادى وهلْ تُشْجى الجيادَ المَعَاهِدُ[1]
أَهُمُّ بشىء والليالى كأَنها تُطارِدُنى عن كَوْنِه وأُطارِدُ
وحيدًا من الخِلاَّنِ فى كلِّ بلدةٍ إذا عَظُمَ المطلوبُ قَلَّ المُساعِدُ

(١) هذا البيت من أروع ما عند المتنبى من الغزل التمثيل يشرك به جواده فى حب دار الحبيب وطالما حدثنا الرواثيون وفيهم إسكندر دوماس الأب عن جياد كانت تحمحم على دار الأحبة حين تقف بها فرسانها .

عصيان العذول

القَلْبُ أَعْلَمُ يا عَذولُ بدائِهِ ... وأَحَقُّ مِنْكَ بجفْنِهِ وبمائه
فَومَنْ أُحبُّ لأَعْصينَّكَ فى الهوى ... قَسَماً به وبحسنه وبهائه
أَأُحبُّهُ وأُحبُّ فيه مَلامَةً ... إنَّ الملامةَ فيه من أَعْدائه
عجبَ الوُشاةُ من اللُّحاة وقولهمْ ... دعْ ما نَراكَ ضَعُفْتَ عن إخفائه [١]
والعشقُ كالمعشوقِ يعْذُبُ قُرْبُهُ ... للمُبْتَلى وينالُ منْ حوْبائِه [٢]

ظمآن

ليالىَّ بَعْدَ الظاعِنينَ شكولُ ... طِوالٌ ولَيْلُ العاشقين طويلُ
يُبِنَّ لىَ البَدْرَ الذى لا أُريدهُ ... ويخْفين بدْرًا ما إليه سبيلُ
وما عِشْتُ من بعد الأَحبةِ سلوَةً ... ولكننى للنائبات حَمولُ
وإنَّ رَحيلاً واحدًا حالَ بيننا ... وفى الموْت مِن بعد الرَّحيلِ رحيلُ
إذا كان شَمُّ الرَّوْح أَدْنى إليكُمُ ... فلا بَرِحَتْنى روضة وقَبُولُ [٣]
وما شَرَقى بالماءِ إلا تذكرًا ... لمـاءٍ به أَهلُ الحبيب نزولُ
يحرِّمُهُ لَمْعُ الأَسنَّةِ دونهُ ... فليس لظمآنٍ إليه وصولُ [٤]

---

(١) اللحاة : جمع لاح اللائم .
(٢) الحوباء : هى النفس .
(٣) الروح : نسيم الريح الشرقية والقبول الجهة التى تقبل منها الريح .
(٤) الأبيات الثلاثة الأخيرة ترتيل محبة لا يضاهيها إلا ما نجده عند كبار المغرمين المعاميد من الأدباء والشعراء الذين استطاعوا بالتعبير النافذ أن يصوروا شعورهم فى الحب . وفى هذه الصورة من التعلق بالحبيب فى الريح وتنسمها من نحو أرضه والغص بالماء تذكراً لمائه والتهيب لملاقاته بما دونه من المخاوف والتهديد ، ما يعز مثيله عند شاعر آخر ولن نجد من صدق الموجدة ما نجده عند أبى الطيب فى غزله . لقد كان ابن أبى ربيعة لعاباً بالغزل فكان الغزل على لسانه كرة فى يد صبى يلعب بها فى =

د ـ الفخر

مما أثار حقد الناس على أبي الطيب من بني قومه ومن الأمراء والملوك ومن العلماء والشعراء تشبث بالنسب وتفاخر بالشرف وتعاظم بما أوتي من مجد وفضل وتفوق وإقدام عبر عن كل ذلك في شعره بهذه المعاني في مختلف قصائده ، ولا تكاد تخلو واحدة من بيت أو أبيات يمجد فيها نفسه ويفاخر :

ما بقَومى شَرُفْتُ بل شَرفُوا بى ... وبنفْسى فَخَرْتُ لا بجُدودى
وبهمْ فخْرُ كلِّ منْ نَطَقَ الضّا ... د وعَوْذُ الجانى وغَوثُ الطَّريد

ليسَ التعللُ بالآمالِ من أربى ... ولا القناعةُ بالإقلالِ من شِيَمى
لأتركنَّ وجوه الخيلِ ساهمـــةً ... والحربُ أقومُ من ساقٍ على قَدَمِ

أىُّ محـــلٍّ أرتقى ... أىُّ عظـــيم أتَّقى
وكلُّ ما قد خلق ... الله وما لم يخْلُق
محتقـــرٌ فى همتى ... كَشَعْرَةٍ فى مفْرِقى

أنا الذى نَظَرَ الأعمى إلى أدبى ... وأسْمَعَتْ كلماتى من به صَمَمُ

وما الدهْرُ إلا من رُواة قصائدى ... إذا قُلْتُ شعرًا أصبح الدهرُ مُنشدا
فسار به من لا يَسيرُ مُشَمِّرًا ... وغَنَّى به من لا يُغنّى مُرَدِّدَا

تَغَرَّبَ لا مُسْتَعْظماً غير نفسه ... ولا قابِلاً إلاَّ لخالقِه حُكما
فلا عبرَتْ بى ساعةً لا تُعِزُّنى ... ولا صحبتنى مُهْجَة تقبلُ الضيْما

= الطريق أما غزل أبي الطيب فكان من النوع الوقور المقرون بالعقل والشعور العميق لأنه تعبير عن عاطفة إنسانية عريقة ولدت مع أول إنسان في الوجود وتكاد تكون سر العالم ومن حق هذه العاطفة أن يمارس التعبير عنها كل ذي شعور وخاصة الشعراء .

أنا تربُ النَّدى ورَبُّ القوافى وسُمَامُ العِدَى وغَيْظُ الحسود
أنا فى أمَّــةٍ تداركَها الله غَريبٌ كصالحٍ فى ثمــود

سيعْلَمُ الجمع ممنْ ضم مجلِسُنا بأَنَنى خَيرُ من تسعى به قَدَمُ

لتعلَمَ مِصْرٌ ومن بالعراق ومَنْ بالعَواصم أنى الفتى
وأنى وفَيْتُ وأنى أبيْتُ وأنى عَتَوتُ على من عَتا

وفؤادى من الملوك وإن كا ن لسانى يُرى من الشعراء

يقولونَ لى ما أنت فى كلِّ بلدةٍ وما تبتغى؟ ما أبتغى جلَّ أن يُسْمَى

هـ ــ الرثاء

ورد الخبر على أبى الطيب بوفاة خولة أخت سيف الدولة وهو فى العراق فأثار موتها كوامن قلبه ونفض عنه السر الذى بات مكتماً، وصور بكاءه ونحيبه، ووقوع هذا الخطب عليه، وتعد هذه المرثية من أصدق ما قيل فى شعر العرب وفاء وتفجعاً، وصف فيها أبو الطيب امرأة حمدانية كانت أميرة وشعبية وكانت جميلة وبطلة تقود الكتيبة وتهب العطايا.

غائبة الشمسين

طوَى الجزيرةَ حتى جاءنى خَبَرٌ فزعْتُ فيه بآمالى إلى الكَذِبِ[1]
حتى إذا لم يدَعْ لى صــدقُهُ أملاً شَرِقتُ بالدمع حتى كاد يَشْرَق بى[2]

---

(١) توفيت أخت سيف الدولة بميافارقين سنة ٣٥٢هـ. الجزيرة ههنا أريد بها من الموصل إلى الفرات، والمعنى: جاء هذا الخبر بعد أن طوى الجزيرة وصولا إلى ففزعت منه أى فقصدت ولذت بالتكذيب وتعللت بالرجاء.

(٢) ولما فقدت الأمل فى تكذيبه وظهر صدقه أخذت أبكى حتى غرقت بدمعى وجعلت أشرق بالدمع حتى أحاط الدمع بى وأوشك أن يشرقنى.

كأَن خَوْلَةَ لم تَمْلَأْ كَتائِبُهـا ... دِيارَ بَكْرٍ ولم تَخْلَعْ ولم تَهَبِ[١]

أَرى العراقَ طويلَ الليل مُذْ نُعِيَتْ ... فكيفَ ليلُ فتى الفتيانِ فى حَلَبِ[٢]

يظن أَنَّ فوادى غيرُ ملتهبٍ ... وأَنَّ دمعَ جفونى غيرُ منسَكِبِ

بلى وحُرْمَةِ من كانت مُراعيَةً ... لحُرْمَةِ المَجْدِ والقُصَّادِ والأَدَبِ[٣]

وَهَمُّها فى العُلا والمُلْكِ ناشئةً ... وهمُّ أَترابها فى اللهْوِ واللَّعِبِ

يعْلَمْنَ حين تحيّا حُسْنَ مَبْسِمِها ... وليس يعلم إلا اللهُ بالشَّنَبِ[٤]

فإن تكُنْ خُلقَتْ أُنْثى لقد خُلِقَتْ ... كريمةً غير أُنْثى العَقْلِ والحَسَبِ

فليتَ طالعةَ الشمسين غائبةٌ ... وليتَ غائبةَ الشمسين لم تَغِبْ[٥]

فما تقلَّد بالياقوتِ مُشْبِهها ... ولا تقَلَّدَ بالهِنْديَّةِ القُضُبِ[٦]

ولا ذكرتُ جميلاً من صَنائعها ... إلاَّ بكيْتُ ولا وُدٌّ بلاسَبَبِ[٧]

قد كان كُلُّ حجابٍ دونَ رؤيتها ... فما قَنِعْتِ لها يا أَرضُ بالحُجُبِ[٨]

---

(١) بهذا البيت بين الشاعر أن خولة كانت تقود الجيش إلى الحرب وتمشى فى مواكب رسمية وتكافئ الأبطال بالخلع والهدايا وتهب إليهم المال والإقطاع وكانت ساحة ذلك ديار بكر وهى منازل ربيعة ومضر . وفى نسخ الديوان (فعلة) مكان خولة لتعظيم اسمها وسترة .

(٢) فتى الفتيان : سيف الدولة .

(٣) القصاد : جمع قاصد للمعروف .

(٤) الشنب : جمال الأسنان وعذوبتها . يقول إن صاحباتها وأترابها يعرفن جمال فمها أما ما وراء هذا الجمال من طيبة الفم فلا يعلمه إلا الله وهذا كناية عن عفتها وأن لا علاقة له بها فى أكثر من رؤية جمالها البرىء .

(٥) هى الشمس الغائبة وشمس الفلك هى الطالعة .

(٦) بهذا البيت يثبت لدينا أنها كانت جميلة ومحاربة شجاعة .

(٧) سبب ودى لها إكرامها إياى المتكرر .

(٨) يدل هذا البيت على أنه كان قد حيل بين الشاعر وبين خولة آخر الأمر حتى حجبتها الأرض نفسها .

ولا رأيتِ عيونَ الإنْسِ تدركها ... فهل حَسَدْتِ عليها أعيُنَ الشُّهُبِ[١]

وهل سَمِعْتِ سلاماً لى ألَمّ بها ... فقد أطَلْتُ وما سَلَّمْتُ من كَثَبِ[٢]

يا أحْسَنَ الصَّبْرِ زُرْ أولى القلوبِ بها ... وقل لصاحبه يا أنفعَ السُّحُبِ[٣]

جزاكَ ربُّكَ بالأحْزَانِ مغفرةً ... فحُزنُ كُلِ أخى حُزْنٍ أخو الغَضَبِ[٤]

فلا تَنَلْكَ الليـــالى إن أيْدِيها ... إذا ضَرَبْنَ كَسَرْنَ النَّبْعَ بالغَرَبِ[٥]

وما قضى أحـــدٌ منها لُبَانَتَهُ ... ولا انتَهَى أربٌ إلاَّ إلى أرَبِ[٦]

تخالَفَ الناسُ حتى لا اتفاقَ لَهُمْ ... إلا على شَجَبٍ والخُلْفُ فى الشَّجَبِ[٧]

فقيلَ تَخلُصُ نفْسُ المرءِ سالمـــةً ... وقيل تشْرَكُ جِسْمَ المرءِ فى العَطَبِ[٨]

ومن تفكَّرَ فى الدنيا ومُهْجَتِـــهِ ... أقامَهُ الفكْرُ بين العَجْزِ والتَّعَبِ

---

(١) لما حيل بين خولة ومن يراها اتجهت إلى مشارف القصر فصارت ترعى الكواكب ، ولم يدم لها ذلك فهل حسدتها أيتها الأرض على رؤية الكواكب أيضاً .

(٢) أيتها الأرض إننى قصرت فى السلام عليها وهى حية وهذا يدل على ما وقع بينه وبين أخيها حتى فارقه من جراها فأنا اليوم أسلم عليها ميتة فهل يبلغها سلامى ؟ والكثب : القرب .

(٣) يا أنفع السحب : يريد عطاء سيف الدولة .

(٤) حزن الإنسان على مصيبة تصيبه هو غضب على القدر .

(٥) يدعو لسيف الدولة بالنجاة طول العمر مع العلم بشدة هذه الليالى عليه ولكن للدهر أعاجيب فإنه يضرب بالغرب (وهو نبات طرى الأغصان سريع العطب) النبع (وهو أغصان صلاب تتخذ منها العصى) أى ربما كسر الدهر بالواهى كل صلب شديد .

(٦) يصور أمل الإنسان الذى لا ينقطع فى الحياة .

(٧) الشجب : الهلاك . أى اختلف الناس ولم يتفقوا إلا فى قضية الموت وهى نفسها موضع خلاف .

(٨) يتفلسف فى خلود النفس أو عطبها .

مرثية الأم

رثى أبو الطيب جدته بتفجع لامزيد عليه، وترك فى الأدب العربى إحدى روائع الرثاء ، وما كان فى شعر العرب والأمم ألصق فى الأحزان من رثاء الأمهات والآباء ، لقد كانت جدة المتنبى بيتاً أقامه للأمل ، وقبيل عودته إليها وجده قد تهدم فضاع منه كل شىء فهو يرثى أمله الضائع وحظه العاثر وجدته التى كانت ملء الدنيا لو عاشت وهى التى أعطت العربية أبا الطيب فلا أقل من أن يقول فيها :

لكِ اللهُ من مفجوعةٍ بحبيبها ... قتيلةِ وجدٍ غيرِ مُلْحِقِها وَصْما[1]

أَحِنُّ إلى الكأْسِ التى شربتْ بها ... وأَهوَى لمَثْواها الترابَ وما ضمَّا[2]

بكَيتُ عليها خيفةً فى حياتهـا ... وذاقَ كِلانا ثُكلَ صاحبِه قِدْمَا[3]

عرفتُ الليالى قبلَ ما صنعتْ بنا ... فلما دَهَتنى لم تزِدْنى بهـا عِلْمَا

أَتاها كِتابى بعدَ يأْسٍ وتَرْحَةٍ ... فماتتْ سرُورًا بى فَمُتُّ بها هَمَّا[4]

حرامٌ على قلبى السرُور فإننى ... أَعُدُّ الذى ماتَتْ به بَعْدَها سُمَّا

تَعَجَّبُ من خطى ولفظى كأَنها ... ترَى بحُروفِ السَّطْرِ أغربةً عُصْمَا[5]

---

(١) ذكرنا هذه القصيدة فى الكلام على الرثاء عند المتنبى وهى مطولة نثبتها لخطرها . وجدته هذه لأمه .

(٢) فى الحنين إلى الكأس التى شربت بها جدته فرط وجد من شاعر وتعميم الهوى للأرض وما ضمت من أجلها تفوق فى الحزن والتعلق بالذكرى يردنى إلى بيت بهذا المعنى فى أنشودة الإنسان لسليمان الحكيم معناه (أنى أقبل الثرى حيثما كان وكنت لأنك عليه . وجرى مثله لقبر مالك بن الريب حين بكى أخوه كل قبر من أجله بقوله : « فدعى فهذا كله قبر مالك » .

(٣) لم يشر العكبرى ولا غيره إلى ما وراء هذا البيت من المعنى لكنه يضم تاريخ أبى الطيب مع جدته وعلاقته بالعلويين ويظهر أنه كان شديد الخوف عليها منهم حين فارقها وطوح البعاد بينه وبينها حتى ثكل كل منهما صاحبه قبل الموت .

(٤) كانت جدته قد يئست منه لطول غيبته فكتب إليها كتاباً فلما وصل الكتاب إليها جعلت تقبله وهى تبكى وفرحت به وحمت من وقتها لما غلب عليها من السرور فماتت .

(٥) الأغربة العصم : الغربان السود التى فى أجنحتها بياض يشبه أسطر كتابه السود وما يتخللها من البياض بذيلها هذا شرح الشراح وأرى معناه بمساعدة العصم وهو جمع أعصم الشديد العصمة البعيد=

وتلثُمُهُ حتى أصارَ مدادُهُ ... محاجِرَ عينيها وأنيابَها سُحْما[1]

طلبتُ لها حَظًّا ففاتتْ وفاتنى ... وقد رَضيَتْ بى لو رَضيتُ بها قَسْما

فأصبحتُ أستسقى الغمامَ لقبرها ... وقدْ كنْتُ أستسقى الوَغى والقنا الصُّما

هبينى أخذتُ الثأرَ فيك من العِدى ... فكيفَ بأخذِ الثأرِ فيك من الحُمَّى

وما انسدّتِ الدنيا علىَّ لضيقها ... ولكن طرْفاً لا أراكِ به أعمى

فواأسفا ألّا أكِبَّ مقبِّلاً ... لرأسكِ والصَّدْرِ اللَّذَيْ مُلئا حَزْما

ولو لم تكونى بنت أكرمِ والدٍ ... لكانَ أباكِ الضَّخْمَ كونُكِ لى أُمّا

لئن لَذَّ يوْمُ الشامتين بموتها ... لقد وَلَدَتْ منِّى لآنافهمْ رَغْما

تَغَرَّبَ لا مُسْتَعْظماً غير نفسه ... ولا قابلاً إلاَّ لخالقه حُكما

ولا سالكاً إلاَّ فؤادَ عَجاجَةٍ ... ولا واجداً إلاَّ لمَكْرُمَةٍ طَعما[2]

يقولون لى ما أنت فى كل بلدةٍ ... وما تبتغى؟ ماأبتغى جَلَّ أن يُسْمى

كأن بنيهم عالمونَ بأننى ... جَلُوبٌ إليهم من معادنه اليُتْما

وما الجَمْعُ بين الماءِ والنارِ فى يدى ... بأصْعَبَ من أنْ أجْمَعَ الجِدَّ والفَهْما

وإنى لمن قومٍ كأنَّ نفوسهم ... بها أنَفٌ أن تسكن اللحْمَ والعَظْما

= المنال كالغربان التى اعتصمت بالأعالى فعز اصطيادها ، وهذا كناية عن سواد سطوره فى كتاب نادر الوقوع باليد .

(١) السحم : السود .

(٢) يمزج المتنبى الفخر — على طريقته وطريقة الشعراء — بالرثاء والمديح والهجاء ومن عادة الرثاء أن يذكأ الجراح فيقول الشاعر فيه الكثير عن آلامه وآماله الخواسر ويبكى حظه وهو يبكى حبيبته .

كذا أنا يا دُنْيا إذا شئْتِ فاذهبي ... ويا نَفْسُ زيدى فى كرائهها قُدْما

فلا عَبَرَتْ بى ساعةٌ لا تُعِزنى ... ولا صَحِبَتْنى مُهْجَةٌ تَقْبَلُ الضَّيْما

رثاء أبى شجاع فاتك

تنكر كافور لأبى الطيب بمصر وأقبل عليه أبو شجاع فاتك أحد أبطال الإخشيد، محمد بن طغج، فوصله بهدايا قيمتها ألف دينار، وكان بين فاتك وكافور عداء مستتر، وتوثقت المودة بين فاتك والمتنبي ولولاه لقى الشاعر بمصر كثيراً من الأمى فمدحه بقصيدة فيها تعريض ببخل كافور، وتوفى فاتك بعد خروج المتنبي من مصر فرثاه بقصيدة عينية حشد فيها من حكمته ووجده ما حشد، قال له فيها:

النيِّر الآفل

بَرِّدْ حشاى إن استطعتَ بلفظةٍ ... فلقد تَضُرُّ إذا تشـاءُ وتنفعُ[1]

من للمحافل والجحافل والسُّرى ... فقدت بفقدك نيِّرًا لا يَطْلُعُ

قُبْحاً لوَجْهكَ يا زَمانُ فإنه ... وَجْهٌ له من كُلِّ لُؤْمٍ بُرْقُعُ

أيموتُ مثلُ أبى شُجَاعٍ فاتكٍ ... ويعيشُ حَاسدُهُ الخَصِىُّ الأَوْكَعُ[2]

أبقَيْتَ أكْذَبَ كاذبٍ أبقيتَه ... وأخذتَ أصدقَ من يقول ويسمَعُ

(١) هذه القصيدة طويلة مزج فيها الشاعر التفجع بالهجاء فهو يبكى فاتكاً ويذكر شجاعته وكرمه، ويهجو مقابل ذلك كافوراً بذكر مقابحه. وكان تاريخ هذه القصيدة سنة ٣٥٠ للهجرة.

ومن شدة حزن المتنبي لموت فاتك عاوده الحنين إليه بعد تركه مصر فقال فيه القصيدة الميمية وهى من أجود شعره وأروعه فى الحكمة والرثاء والذكرى، وذلك سنة ٣٥٣ قالها والليل مطبق على سراه فأخذ يسترجع ذكريات مصر المقرونة بالأحزان والاغتراب والخيبة. وأفدح ما ينزل بالشاعر من البلاء تكاثر الحساد عليه وانصراف الحظ عنه وتجهم الرؤساء.

(٢) الأوكع: الأحمق، والعبد الأعرج، يريد كافوراً.

عديم الخِلّف

حتَّامَ نحنُ نسارى النَّجمَ فى الظُّلَمِ ... وما سُراهُ على خُفٍّ ولا قَدَمِ[1]

ولا يُحِسُّ بأجفانٍ يُحِسُّ بها ... فَقْدَ الرُّقادِ غريبٌ باتَ لم يَنَمِ

لا أُبْغِضُ العيسَ لكنى وقيْتُ بها ... قلبى من الحُزْنِ أو جسمى من السَّقَمِ[2]

طَرَدْتُ من مصرَ أيديها بأرجُلِها ... حتى مَرَقْنَ بنا من جَوْشَ والعَلَمِ[3]

لا فاتكٌ آخرٌ فى مصْرَ نَقْصُدُهُ ... ولا لَهُ خَلَفٌ فى الناسِ كلِّهمِ

عَدِمْتُهُ وكأنى رُحْتُ أَطْلُبُهُ ... فما تَزيدُنى الدُّنيا على العَدَمِ[4]

حتى رَجَعْتُ وأقلامى قوائلُ لى ... المَجْدُ للسيف ليس المَجْدُ للقلمِ[5]

اكْتُبْ بنا أبدًا بعد الكِتاب به ... فإنما نحنُ للأسيافِ كالخَدَمِ

هوِّنْ على بَصَرٍ ما شَقَّ مَنْظَرُهُ ... فإنما يَقَظَاتُ العَيْنِ كالحُلُمِ

سُبْحانَ خالِقِ نَفْسى كيفَ لذَّتُها ... فى ما النفوسُ تراهُ غايةَ الألَمِ

---

(١) السرى : مشى الليل .

(٢) العيس : الجمال .

(٣) لاحظ العكبرى فى شرحه لهذا البيت أن المتنبى أسكن الياء بأيديها للضرورة . وجوش والعلم موضعان، وصورة ركض الجمال بالمتنبى ومن معه حين هرب من مصر ليلا تشبه الطرود المطاردة فكأن الأرجل تطرد أمامها الأيدى كناية عن السرعة فى الجرى .

(٤) فى هذا البيت انتباهة اليائس الحالم الذى أدرك أنه فقد حبيبه ولكنه لا يصدق فقده فهو يبحث عنه فى كل مكان عله يجده ولكنه لا يدرك بعد طول البحث عنه إلا العدم المطلق الذى لا مزيد عليه .

(٥) تظهر حسرات أبى الطيب على ضيعة العمر الذى قضاه وراء القلم، وتقدمه بصورة لهذا المعنى أبو تمام حيث قال (السيف أصدق أنباء من الكتب) والكتاب ههنا مصدر لكتب كالكتابة .

وقتٌ يضيعُ وعُمْرٌ لَيْتَ مُدَّتَهُ ... فى غَير أُمّته من سَائر الأُمَمِ[1]
أَتى الزمانَ بنوهُ فى شبيبَتِهِ ... فسرَّهُمْ وأَتيناهُ على الهَرَمِ[2]

٢ ـ الشاعر الاجتماعى

ا ـ ذمّ العبيد

لما رأى المتنبى أن العبيد فى بعض البلاد هم المستأثرون بدفة الحكم والسلطان ثارت نفسه ولا سيما أنه كان له مع بعضهم مواقف آب منها بالخيبة والقنوط .

أحمق من العبد

أَنْوَكُ من عَبْدٍ ومن عِرْسِهِ ... مَنْ حَكَّمَ العَبْدَ على نَفْسِهِ[3]
وإنّما يُظْهِرُ تَحْكِيمَهُ ... تحكُّمَ الإفْساد فى حِسِّهِ
ما مَن يرَى أَنك فى وَعْدِهِ ... كمَنْ يرى أَنَّكَ فى حَبْسِه
لا يُنْجزُ الميعادَ فى يَومِهِ ... ولا يعِى ماقَالَ فى أَمْسِهِ
وإنما تحتالُ فى جَذْبِه ... كأَنك المَلاَّح فى قلسِهِ[4]
فلا ترجّ الخير عند امرئٍ ... مرّت يدُ النّخَّاسِ فى رَأْسِهِ[5]

---

(١) بلغ المتنبى آخر درجات اليأس بهذا البيت حين خسر معركة الدنيا فتمنى أن يكون فى غير زمنه وغير أمته بل تمنى أن كان مجيئه فى عصر الجاهلية أو صدر الإسلام حيث تألقت الحياة بالعروبة والمكارم .

(٢) يضرب البلاغيون المثل بهذا البيت للحذف ؛ والمحذوف كلمة «فساءنا» أى أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم فساءنا .

(٣) الأنوك : الأحمق . العرس : المرأة .

(٤) القلس : حبل السفينة الذى تجذب به السفينة فى الإصعاد .

(٥) النخاس : الذى يبيع الدواب والعبيد .

وإن عَراكَ الشكُّ فى نفسِه بحاله فانظُرْ إلى جِنْسِه[1]
فقلَّما يَلْوُمُ فى ثوْبه إلا الذى يلؤُمُ فى غِرْسِه[2]

عبد السوء

إنى نزلْتُ بكذَّابين ضَيْفُهُمُ عن القرى وعنِ التَّرحالِ محدُودُ[3]
جودُ الرِّجالِ من الأيدى وجودُهُمُ من اللِّسانِ فلا كانوا ولا الجودُ
ما يقبِضُ الموتُ نفساً من نفوسهمُ إلاَّ وفى يَده من نَتْنِها عُودُ
أكُلَّمَا اغتالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ أوْ خانهُ فلهُ فى مصرَ تمهيدُ
صارَ الخصِىُّ إمامَ الآبقينَ بها فالحرُّ مُستعبدٌ والعبدُ مَعبُودُ[4]
نامتْ نواطيرُ مصرٍ عن ثعالبِها فقد بَشِمْنَ وما تَفنَى العناقيدُ
العبدُ ليسَ لحرٍّ صالحٍ بأَخٍ لو أنه فى ثياب الحرِّ مولودُ
لا تشْتَرِ العبدَ إلا والعصا مَعهُ إنَّ العبيدَ لأَنْجاسٌ مَناكيدُ
ماكنتُ أحسَبُنى أحيا إلى زمنٍ يُسِيءُ بِى فيه كلبٌ وَهْوُ محمودُ
وأنَّ ذا الأَسودَ المَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ تُطيعهُ ذى العَضاريطُ الرَّعاديدُ[5]
جَوْعانُ يأْكُلُ من زادى ويُمسِكُنِى لِكى يُقالَ عظيمُ القَدْرِ مقصودُ

(١) عراك : غشيك .

(٢) اللؤم : البخل وسوء الطباع . الغرس : جلدة رقيقة تخرج على رأس الولد عند الولادة وجمعها أغراس .

(٣) قرى الضيف : هو الإحسان إليه . محدود : ممنوع وسميت الحدود حدوداً لأنها تمنع من التجاوز .

(٤) الآبق : الهارب وهى مخصوصة بالعبيد .

(٥) المشفر للجمل كالشفة للإنسان . العضاريط : الأتباع ، والرعاديد : الجبناء .

مَنْ عَلَّم الأَسْودَ المخصِيَّ مَكرُمَةً أَقومُهُ البيض أَمْ آباؤُهُ الصِّيدُ
أَم أُذْنُهُ فى يَد النَّخَّاس داميةً أَمْ قَدْرُهُ وَهْوَ بالْفَلسين مَرْدُودُ[1]

ب ـ كيد الحساد

لقى الشاعر من كيد حساده فى الشام وحلب وعند كافور وبأرض فارس ما لم يلق مثله شاعر ، وقد أورد فى شعره بمواضع كثيرة ذكراً لهذا الحسد وأثره فى نفسه ، ومجتمعه ، وعلله تعليلا نفسيا بالنسبة للفرد والجماعة ، وفلسف الحسد ووصفه بمظاهره الكثيرة فقال فيه :

الكرم مالى

إنى وإن لمتُ حاسدَىَّ فما أُنكرُ أنى عقوبةٌ لهمُ
وكيف لا يُحسَدُ امرُؤٌ عَلَمٌ له عَلَى كل هامةٍ قدَمُ
يهابُهُ أَبْسَأُ الرِّجالِ به وتتقى حَدَّ سيْفه البُهَمُ[2]
كفانىَ الذمَّ أَننى رجل أكرم مالٍ ملكتُه الكَرَمُ

كلام الناس

وما لكلامِ النَّاسِ فيما يَرِيبُنى أصولٌ ولا للقائليه أُصُولُ[3]
سوى وَجَعِ الحُسَّاد داوٍ فإنه إذا حَلَّ فى قلبٍ فليسَ يَحُولُ
ولا تطمعَنْ من حاسدٍ بمودَّةٍ وإن كنتَ تُبْديها له وتُنِيلُ

(١) النخاس : بائع العبيد ، ونصبت دامية على الحالية وأذنه بسكون الذال على قراءة نافع .

(٢) أبسأ الرجال : آنسهم به وآلفهم له . والبهم : الأبطال ، والواحد بهمة وهو الفارس الذى لا تدرى من أين تقتله .

(٣) الخطاب إلى سيف الدولة .

فلو أنى حُسِدْتُ على نفيسٍ لجدْتُ به لذى الجَدِّ العثُورِ[1]
ولكنى حُسِدْتُ على حياتى وما خَيْرُ الحياة بلا سُرُور

مُحَسَّدُ الفضل مكذوبٌ على أثرى ألقى الكَمِىَّ ويلقانى إذا حانا[2]
وما لَيْلٌ بأَطْوَلَ من نَهَارٍ يَظَلُّ بلحْظ حُسَّادى مَشُوبا[3]

ج ـ العتاب

قال يعاتب سيف الدولة لما كان يلقى فى مجلسه من الحاسدين ولا يكبتهم :

يا أعدل الناس

وَاحَرَّ قلباهُ ممَّن قلبهُ شَبِمُ ومن بجسمى وحالى عِندهُ سَقَمُ[4]
مالى أُكَتِّمُ حُبًّا قد برَى جسدى وتدَّعِى حبَّ سيفِ الدولةِ الأُمَمُ
إن كانَ يجمعُنا حُبٌّ لغُرَّتهِ فليتَ أنَّا بقدْر الحبِّ نقتسمُ
قد زرته وسيوفُ الهند مُغمدةٌ وقد نظرتُ إليهِ والسيوفُ دمُ
فكان أحسنَ خلقِ الله كلِّهمِ وكان أحسنَ ما فى الأحسن الشِّيمُ[5]
فَوتُ العدوِّ الذى يممتُه ظَفَرٌ فى طيه أسفٌ فى طيهِ نِعمُ
ألزمتَ نفسَكَ شيئاً ليس يلزَمُها أن لا يواريهم أرضٌ ولا عَلَمُ[6]

(١) الجد : الحظ . والعثور الذى أصابه العثار وهو سوء الحظ ، وأصل العثرة الزلة وعثر سقط أرضاً .
(٢) الكمى : المدجج بالسلاح وتكمى لبس السلاح .
(٣) اللحظ : العين والطرف . ومشوب : ممزوج ومخلوط .
(٤) شبم : بارد .
(٥) أى كان فى الحالين أحسن الخلق وكانت أخلاقه أحسن ما فيه .
(٦) العلم : الجبل .

أكُلَّما رمتَ جيشاً فانثنى هرباً ... تصرَّفتْ بكَ فى آثارهِ الهمَمُ
عليكَ هزْمُهُمُ فى كلِّ مُعترَكٍ ... وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا
أما ترَى ظفرًا حلوًا سوى ظفرٍ ... تصافحتْ فيه بيضُ الهندِ واللِّمَمُ[1]
يا أعدل الناس إلَّا فى معامَلتى ... فيك الخصامُ وأنتَ الخَصْمُ والحكمُ
أُعيذُها نظراتٍ منك صادقةً ... أن تحسبَ الشحمَ فيمن شحمُه وَرَمُ[2]
وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظرهِ ... إذا استوت عنده الأنوار والظُّلَمُ
سيعلم الجمعُ ممَّن ضَمَّ مجلِسُنا ... بأنَّنى خيرُ من تسعى بهِ قدَمُ
أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى ... وأسمَعَتْ كلماتى من بهِ صَمَمُ
أنامُ مِلءَ جفونى عن شوارِدها ... ويسهر الخلقُ جرَّاها ويختصِمُ[3]
وجاهِلٍ مدَّهُ فى جهلهِ ضَحِكى ... حتى أتتهُ يدٌ فرَّاسةٌ وفَمُ[4]
إذا رأيتَ نيوبَ الليثِ بارزَةً ... فلا تظنَّنَّ أن الليْثَ يبتَسِمُ
الخيلُ والليلُ والبيـــداءُ تعرفنى ... والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ
صَحِبتُ فى الفلواتِ الوحشَ منفردًا ... حتى تعجَّبَ منى القُورُ والأَكَمُ[5]
يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم ... وجدانُنا كلَّ شىءٍ بعدكم عَدَمُ[6]

---

(١) يقول لا يحلو لك ظفر إلا إذا ضربت رؤوسهم بالسيف والتقت سيوفك مع شعورهم . واللمم : جمع لمة وهى الشعر .

(٢) أى أعيذ النظرات . أى نظراتك صادقة لا تغلط فيما تراه فلا تحسب الورم شحماً أى لا تظن كل شاعر شاعراً مثلى .

(٣) أى شوارد الأشعار . وجراها : لأجلها .

(٤) يريد أنه يغضى على الجاهل إلى أن يجازيه ويهلكه .

(٥) القور : جمع قارة وهى أكمة صغيرة أو هى الحرة أو البروز فى الجبل . ويقصد الشاعر أن رؤوس الجبال تتعجب من كثرة سراه وسيره .

(٦) وجداننا : وجودنا .

ماكان أخلقَنَا منكم بتكرِمةٍ ... لو أنَّ أمْرَكُمُ من أمرِنا أَمَمُ[١]

إنْ كان سرَّكُمُ ما قالَ حاسدُنا ... فما لجرحٍ إذا أرضاكُمُ ألمُ

وبيننـــا لو رَعَيتم ذاكَ معرفةٌ ... إنَّ المعارفَ فى أهلِ النهى ذِمَمُ[٢]

كم تطلبونَ لنا عيباً فيُعجِزُكم ... ويكرَهُ اللهُ ما تأْتونَ والكرمُ

ما أبعدَ العيبَ والنقصانَ من شرفى ... أنا الثُّرَيَّا وذان الشيبُ والهَرَمُ[٣]

ليتَ الغَمامَ الذى عندى صواعقُهُ ... يُزِيلُهنَّ إلى من عِندهُ الديمُ[٤]

أَرَى النَّوَى تقتضينى كلَّ مرْحلةٍ ... لا تَستقلُّ بها الوخَّادةُ الرُّسُمُ[٥]

لَئن تَرَكْنَ ضُمَيْرًا عن ميامِنِنَا ... لَيحدُثَنَّ لمن ودَّعْتَهُمْ نَدَمُ

إذا تَرَحَّلتَ عن قومٍ وقد قَدَروا ... أن لا تفارِقَهم فالراحلونَ هُمُ

شرُّ البلاد مكانٌ لا صديق به ... وشرُّ ما يَكسِبُ الإنسانُ ما يَصِمُ[٦]

بأىِّ لفظٍ تقول الشعرَ زِعنفَةٌ ... تجوزُ عندكَ لا عُرْبٌ ولا عَجَمُ[٧]

هـــذَا عتابُكَ إلا أنَّهُ مِقَةٌ ... قد ضُمِّنَ الدُّرَّ إلا أنَّهُ كَلِمُ[٨]

---

(١) الأمم : القصد فهو يقول : ما أجدرنا بأن نتبادل الود والتكرمة لو كنتم على حالة من الاعتقاد لنا كما نحن عليه من الثقة بكم .

(٢) النهى : العقول مفردها نهية . والذم : العهود .

(٣) يقول إن كان يقدر للثريا أن تشيب وتهرم فيقدر لشرفى العيب والنقصان .

(٤) يشير إلى إصغاء سيف الدولة للحاسدين ويتمنى أن تصيبهم صواعقه كما تصيبهم تكرمته التى هى الديم أى الأمطار .

(٥) الوخادة الرسم : أى الناقة التى تسير على هذا الضرب من السير وهو الوخد والرسيم .

(٦) يصم : يعيب .

(٧) الزعنفة : اللئيمة وجمعه زعانف .

(٨) المقة : المحبة .

وقال يعاتبه ويستعتبه من القصيدة البائية :

حنانيك . . .

ألا ما لسيفِ الدَّولةِ اليومَ عاتبا ... فَدَاهُ الورَى أمضى السُّيوفِ مَضَارِبا[1]

ومَالِي إذا ما اشْتَقْتُ أبصرتُ دُونَهُ ... تَنَائِفَ لا أشْتاقُها وسَبَاسِبا[2]

وقد كان يُدْنِي مجلسي من سَمَائِهِ ... أحادِثُ فيها بَدْرَها والكواكبا

حنانَيْكَ مسئولاً ولبَّيْكَ داعِياً ... وحَسْبِيَ موهوباً وحَسْبُكَ واهِبا[3]

أهَذا جزاءُ الصِّدق إن كنتُ صادِقاً ... أهذَا جزاءُ الكِذْبِ إن كنتُ كاذبا

وإن كانَ ذنبي كُلَّ ذَنْبٍ فإنَّه ... محا الذَّنبَ كُلَّ المَحْوِ من جاءَ تائِبا

د ـ المديح

ومن أماديحه فى عيد الأضحى لسيف الدولة أنشدها وهو على فرسه وسيف الدولة على فرس مقابل فى ميدان حلب تحت قصره .

اليوم الأوحد

لكلِّ امرئٍ من دَهْرِه ما تَعَوَّدا ... وَعادةُ سيفِ الدَّولةِ الطعنُ فى العِدى

وَأنْ يُكْذِبَ الإرْجافَ عنه بضِدِّه ... وَيُمْسِي بما تَنوى أعاديهِ أسْعَدا

ذكِيٌّ تَظَنِّيــه طَلِيعةُ عَينِهِ ... يرى قلبُهُ فى نَوْمِه ما تَرى غدَا[4]

---

(١) مضارب السيوف : حدودها .

(٢) التنائف : جمع تنوفة وهى المفازة الواسعة . والسباسب : الفلوات .

(٣) حنانيك : كلمة استعطاف أى حناناً بعد حنان .

(٤) التظنى : كالظن . والطليعة : المطلع على العدو . وشرح الواحدى هذا البيت بقوله : هو ذكى ، يرى ظنه الشىء قبل ألا تراه عيناه كالطليعة التى تتقدم الجيش .

وصُولٌ إلى المستصعباتِ بخيله ... فلو كان قَرنُ الشمسِ ماءً لَأَوْرَدا

لذٰلكَ سمَّى ابنُ الدُّمُسْتُقِ يومَهُ ... مَمَاتاً وسمَّاهُ الدُّمُسْتُقُ مَولِدَا[1]

سَرَيتَ إلى جَيحَانَ من أَرضِ آمِدٍ ... ثلاثاً لقد أَدْناكَ ركضٌ وأَبْعَدَا

فولّى وَأعطاك ابنـــهُ وجيوشَهُ ... جميعاً ولم يُعطِ الجميعَ لِيُحْمَدَا

عرَضْتَ لهُ دُونَ الحياةِ وطَرْفِـــه ... وأَبْصرَ سيفَ اللهِ منك مجرَّدا

وَمَا طَابَتْ زُرقُ الأَسِنَّةِ غيرَهُ ... ولٰكِنَّ قُسْطَنْطِينَ كان له الفِدا

فأَصْبحَ يجتَابُ المُسوحَ مَخَافَةً ... وَقد كان يجتابُ الدِّلاصَ المسرَّدا[2]

ويَمْشِي بهِ العُكازُ فى الدَّيْرِ تَائباً ... وَما كان يَرْضى مَشْيَ أَشعرَ أَجْرَدَا

وَمَا تَابَ حَتَّى غَادرَ الكَرُّ وَجْهَهُ ... جريحاً وخَلَّى جفْنَهُ النَّقْعُ أَرْمَدَا[3]

فلو كان يُنجِي مِن علىٍّ تَرهُّب ... تَرَهَّبَتِ الأَملاكُ مَثْنَى ومَوحَدا

هنيئاً لك الْعِيدُ الذى أَنْتَ عِيدُهُ ... وَعِيدٌ لِمنْ سَمَّى وضَحَّى وَعَيَّدَا

ولا زالَتِ الأَعْيَادُ لُبْسَكَ بَعْدَهُ ... تُسَلَّمُ مخروقاً وَتُعطَى مُجدَّدَا

فذَا اليومُ فى الأَيَّامِ مِثْلُكَ فى الْورَى ... كما كُنتَ فيهم أَوحدًا كان أَوحدَا

هُو الجِدُّ حتى تَفضُلَ العَيْنُ أُخْتَها ... وحَتَّى يصيرَ اليومُ لِليوْمِ سَيدَا

فواعجباً من دائِلٍ أَنتَ سيفُهُ ... أَما يَتوقَّى شَفْرَتَيْ ما تقلدا[4]

---

(١) الدمستق : هو domesticon أى رئيس القوم و بطرقهم وملكهم باللغة اليونانية القديمة، وهو (برداس فوكاس) وابن قسطنطين فوكاس .

(٢) يجتاب : يلبس . والمسوح : اللباس الخشن للرهبان . والدلاص المسرد : الدرع المنسوجة.

(٣) النقع : غبار الحرب .

يقول الأستاذ بلاشير فى كتابه عن المتنبى ص ١٧٢ وقد ترجم هذه القصيدة برمتها : (إن فيها نفحة حماسية تميزها من سائر قصائد المتنبى) . راجع كتاب المؤلف (شعر الحرب فى أدب العرب فى العصرين الأموى والعباسى إلى سيف الدولة) طبع دار الفكر العربى سنة ١٩٤٧ ص ٢٤٢ .

(٤) دائل : ذو دولة . أى كل ذى دولة يجب أن يتوقاك إن حمل سيفاً لأنك سيف الدولة .

ومن يجعل الضِّرْغامَ للصيد بازَهُ ... تَصَيَّدُهُ الضرغامُ فيما تَصَيَّدا[1]

رأيتك محضَ الحلم فى محض قدرةٍ ... ولو شئتَ كان الحلمُ منك المهنَّدا

وما قَتَل الأحرارَ كالعفو عنهمُ ... ومن لَكَ بالحرِّ الذى يحفظُ اليدا

إذا أنتَ أكرمْتَ الكريمَ ملكتَهُ ... وإن أنت أكرَمْتَ اللئيم تَمَرَّدا

ووضعُ الندى فى موضعِ السيف بالعلى ... مُضِرٌّ كوضع السيف فى موضع الندى

ولكنْ تفوقُ الناسَ رأياً وحكمةً ... كما فُقْتَهم حالاً ونفساً ومحتِدا[2]

يَدِقُّ على الأفكار ما أنت فاعلٌ ... فيُترَكُ ما يخفى ويؤخَذُ ما بدا[3]

أَزِل حَسَد الحُسَّاد عنِّى بكبْتِهِمْ ... فأنت الذى صيرتَهمْ لِيَ حُسَّدا[4]

إذا شدَّ زَنْدِى حُسنُ رأيك فى يدى ... ضربتُ بنصْل يقطَعُ الهامَ مُغمَدَا

وما أنا إلا سَمْهَرِىٌّ حمَلْتَـهُ ... فزيَّنَ معروضاً وراعَ مُسَدَّدا[5]

وما الدهرُ إلا من رواةِ قصائدى ... إذا قلتُ شعرًا أصبحَ الدهرُ مُنشدا

فسارَ به من لا يسيرُ مشمِّرًا ... وغنَّى به من لا يغنِّى مُغَرِّدَا

أجِزْنى إذا أُنْشِدْتَ شعرًا فإنما ... بشعرى أتاكَ المادحون مردّدا

ودَع كلَّ صوتٍ غير صوتى فإننى ... أنا الصائح المحْكِىُّ والآخر الصدى[6]

---

(١) الضرغام : الأسد . والبازى : طائر يرسل على الطيور فيصيدها .

(٢) المحتد : الأصل .

(٣) يدق : يخفى .

(٤) الكبت : الصرف والإذلال .

(٥) السمهرى : الرمح .

(٦) يقول إذا أنشدك الشعراء فاصرف إلى جوائزك لهم لأنهم يسرقون شعرى ويمدحونك بمعانيه فاسمع صوتى وحدى لأنى الطائر ذو التغريد وكل هؤلاء الشعراء أصداء لى — وفى « يتيمة الدهر » للثعالبى نماذج من أشعار هؤلاء الشعراء الذين عاشوا فى ظلال الدولة الحمدانية وأكثرها يسيل تقليداً وغزلا غير مستحب ويبعد كل البعد عن الشعر الخالد الرفيع .

تركتُ السُّرى خلفى لمن قلّ ماله ... وأنعلْتُ أفراسى بنُعماك عسجدا
وقيدتُ نفسى فى ذُراك محبَّةً ... ومَنْ وجَدَ الإحسانَ قيدًا تقيدا
إذا سأل الإنسانُ أيامَهُ الغِنى ... وكنتَ على بعدٍ جعلتُكَ مَوْعِدا

هـ ـ الهجاء

لقد اصطنع أبو الطيب الهجاء ومارس القذع فيه والتشنيع دون تحرج ، فطعن من نغصوا عيشه أو خيبوا رجاءه ، أو نالوا من شاعريته وكفاحه ، وهذا إسحق بن كيغلغ يرسل إلى الشاعر سنة ٣٣٦ يسأله مديحاً فيأبى ويرد بأنه أقسم أن لا يمدح فى طريقه أحداً ، ولما ضايقه ابن كيغلغ تذكر صديقه أبا العشائر فقال فيه قصيدة هجا فيها حامى الطرق[1] الذى اعتاقه وأساء إليه ، منها هذه الأبيات التى تجاوزنا فيها عن الإقذاع المكشوف :

قرد يقهقه

لِهَوَى النفوسِ سريرةٌ لا تُعْلَمُ ... عَرَضاً نظرتُ وخِلْتُ أنّى أسْلَمُ
ذُو العقل يشقَىٰ فى النعيم بعقله ... وأخو الجهالة فى الشقاوة يَنْعَمُ
لا يخْدَعَنَّكَ من عَـدُوٍّ دَمْعُهُ ... وارحَمْ شبابَكَ من عَدُوٍّ تَرْحَمُ
وارفُقْ بِنفسِك إن خلقَك ناقِصٌ ... واسترْ أباكَ فإن أصلَكَ مظلم
ومن البَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لا يَرْعوى ... من جَهلِهِ وخِطابُ من لا يَفْهَمُ
وجفونُهُ ما تستقرُّ كأنّهـا ... مطروقةٌ أو فُتَّ فيها حِصْرِمُ
وإذا أشارَ مُحَدِّثاً فكأنه ... قِرْدٌ يقهقه أو عَجُوزٌ تَلْطِمُ

(١) كان الشاعر متوجها من الرملة إلى أنطاكية فنزل بطرابلس حيث منعه ابن كيغلغ من المسير .

يَقْلِى مُفارَقَةَ الأَكُفِّ قَذَالُهُ ... حتى يكاد على يد يَتَعَمَّمُ[1]

وتراه أصغرَ ما تراه ناطقاً ... ويكونُ أكذَبَ ما يكونُ ويُقْسِمُ

ومن العَداوَةِ ما ينالُكَ نَفْعُهُ ... ومن الصَّداقة ما يَضُرُّ ويُؤْلِمُ

أرسلتَ تسأَلُنِى المديحَ سَفاهَةً ... صفْراءُ أضيقُ مِنْكَ ماذا أَزْعُمُ[2]

فَلَشَدَّ ما جاوَزْتَ قَدرَكَ صاعداً ... ولشدَّ ما قَرُبتْ عليكَ الأَنجُمُ

وأَرَغْتَ ما لأَبِى العشائر خالصاً ... إن الثناء لِمنْ يُزار فيُنْعِمُ

أفعالُ من تَلِدُ الكرامُ كريمةٌ ... وفَعالُ مَن تَلِدُ الأَعاجمُ أعجَمُ

و ـ التأبين والعزاء

وقال يعزى أبا شجاع عضد الدولة وقد ماتت عمته :

نحن بنو الموتى

آخِرُ ما المَلْكُ معزًّى به ... هذا الذى أَثَّرَ فى قَلبِهِ

لا جَزَعاً بل أَنَفاً شابَهُ ... أن يقدِرَ الدَّهْرُ على غَصبهِ[3]

لو دَرَتِ الدُّنيا بما عِنْدَهُ ... لاسْتحْيتِ الأَيَّامُ من عَتْبِهِ

لعلَّها تحسَبُ أَنَّ الـذى ... ليس لديهِ ليس من حِزْبِهِ[4]

---

(١) يقلى : يرضى ويرغب وهى بالياء أما التى بالواو أى يقلو فهى يبغض . ومعنى البيت أنه يحب أن تصفع الألف قفاه ومن وقع الأكف على رأسه يكاد يلف عمامة من الضرب على رأسه .

(٢) صفراء : اسم أم المهجو ويشير الشاعر إلى ضآلتها وأن من يطلب المدح ينبغى أن يكون نبيل الأم والأب فى النسب .

(٣) الجزع : قلة الصبر . الأنف : الحمية .

(٤) حزبه : أهله .

وأنَّ مَنْ بغـــدادُ دارٌ لهُ ... ليس مُقِيماً فى ذرَى عَضْبِهِ[1]

لا بُدَّ للإنسانِ من ضَجْعَةٍ ... لا تقلِبُ المُضْجَعَ عن جَنْبِهِ[2]

يَنْسَى بها ما كان من عُجْبِـــهِ ... وما أذاقَ الموتُ من كَرْبِهِ

نَحنُ بنو الموتَى فما بالُنا ... نعافُ ما لا بُدَّ من شُرْبِهِ[3]

تبخَلُ أيدينـــا بأرْواحِنـــا ... على زمانٍ هنَّ من كَسْبِهِ

أستغفرُ اللهَ لشخصٍ مضَى ... كانَ نَداهُ منْتَهَى ذَنْبِهِ

وكان من عَـــدَّدَ إحْسانَهُ ... كأنّه أفْرَطَ فى سَبِّـــهِ[4]

يا عَضُدَ الدَّولةِ مَنْ رُكنُها ... أبُوهُ والقلبُ أبو لُبِّـــهِ

إنَّ الأَسَى القِرْنُ فلا تُحْيِهِ ... وسيفُكَ الصّبرُ فلا تُنْبِهِ[5]

حاشاكَ أن تضعُفَ عن حَملِ ما ... تحمَّـــل السَّائر فى كُتْبِهِ

مثلُك يَثْنِى الحُزْنَ عن صَوْبِهِ ... ويستردُّ الدَّمْعَ عن غَرْبِهِ[6]

---

(١) الذرى : الكهف والكنف . العضب : السيف .

(٢) المضجع : المضطجع .

(٣) نعاف : نكره .

(٤) عدد : أحصى .

(٥) تنبه : تجعله ينبو أى لا يقطع .

(٦) صوبه : قصده . غربه : مجرى الدمع .

٣ ـ الشاعر السياسى

ا ـ العصبية العربية

جرى ذكر ما بين العرب والأكراد من الفضل فقال سيف الدولة ما تقول فى هذا يا أبا الطيب فقال :

خير الأنام

إن كنتَ عن خيرِ الأنامِ سائلا ... فخيرهُمْ أكثرُهُمْ فضائِلا
من كنتَ منهمْ يا همامَ وائِلا ... الطَّاعنينَ فى الوَغَى أوائِلا[1]
والعاذِلينَ فى النَّدَى العَواذِلا ... قد فَضَلُوا بفَضْلِكَ القبائِلا[2]

ب ـ الإشادة بالعلويين الأفذاذ

ذوه المتنبى غير مرة فى شعره بالعلويين وأغلب الظن أنه أشاد بهم عن رغبة لا عن رهبة فمن مدحهم أبو القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى :

نفس النسيب

فتى علَّمَتْهُ نفسُهُ وجدودُهُ ... قراعَ العَوالى وابْتذالَ الرَّغائب[3]
فقد غيَّبَ الشُّهَّادَ عن كلِّ موطنٍ ... وردَّ إلى أوطانِهِ كلَّ غائبِ[4]

---

(١) الهمام : الملك العظيم الهمة . وائل : أبو قبيلة الممدوح جعله اسما للقبيلة فمنع صرفه . الوغى : الحرب .

(٢) العاذلين : اللائمين . العواذل : جمع عاذلة .

(٣) العوالى : صدور الرماح . الابتذال : البذل . الرغائب : جمع رغبة وهى الشىء المرغوب فيه .

(٤) الشهاد : جمع شاهد بمعنى حاضر .

كذا الفاطميُّونَ النَّدَى فى بنانِهِمْ ... أعزُّ امِّحاءً من خطوطِ الرَّواجِبِ[1]

أُناسٌ إذا لاقَوْا عِدًى فكأنَّما ... سلاحُ الذى لاقَوْا غُبارُ السَّلاهِبِ[2]

رمَوْا بنواصيهـــا القِسِىَّ فجئْنَها ... دَوامِى الهوادِى سالمات الجَوانبِ[3]

أُولئكَ أَحْلَى من حياةٍ مُعـــادةٍ ... وأكثرُ ذِكْرًا من دُهورِ الشَّبائِبِ[4]

نصرتَ عليًّا يا ابْنَهُ ببواترٍ ... من الفعلِ لا فلٌّ لها فى المَضَارِبِ[5]

وأبهر آياتِ التَّهـــامى أنَّـــهُ ... أبوك وأَجْدَى ما لكُمْ من مَناقِبِ[6]

إذا لم تكن نفسُ النَّسِيبِ كأَصْلِهِ ... فماذا الذى تُغْنِى كرامُ المناصبِ

إذا علوىٌّ لم يكنْ مثلَ طَاهِرٍ ... فما هو إلَّا حُجَّـــةٌ للنَّواصِبِ[7]

فحُيِّيتَ خيرَ ابْنٍ لخيرِ أَبٍ بها ... لأَشْرَفِ بيتٍ فى لُؤَىِّ بْنِ غَالِبِ[8]

وقال أيضاً فى صباه يمدح محمد بن عبد الله العلوى المشطب :

خير قريش أباً

... مرتمياتٌ بنا إلى ابن عُبَيْـ ... ـدِ اللهِ غيطانُها وفَدْفَدُهـــا[9]

إلى فتى يصْدِرُ الرِّماحَ وقد ... أَنْهَلَها فى القلوبِ مَوْرِدُها[10]

(١) الرواجب : مفاصل الأصابع .
(٢) السلاهب : جمع سلهب وهو الفرس الطويل .
(٣) الهوادى : جمع هاد وهو العنق .
(٤) الشبائب : جمع شبيبة .
(٥) على بن أبى طالب لأن الممدوح علوى . البواتر : السيوف القواطع . الفل : الثلم .
(٦) التهامى : نسبة إلى تهامة وهى مكة يريد به النبى . أجدى : أنفع . المناقب : المفاخر .
(٧) النواصب : الخوارج الذين نصبوا العداوة لعلى بن أبى طالب .
(٨) خير ابن : الممدوح . خير أب : النبى . وأشرف بيت : بنو هاشم بن عبد مناف . لؤى بن غالب : من آباء قريش .
(٩) الغيطان : بطون الأرض . الفدفد : الأرض الغليظة .
(١٠) أنهلها : سقاها .

له أيادٍ إلىّ سابقةٌ أعُـدُّ منها ولا أعَدِّدُها
يعطى فلا مَطْلَةٌ يُـكَدِّرُها بهـا ولا مَنَّةٌ يُنَكِّدُها[1]
خيرُ قريشٍ أباً وأمجـدُها أكثرُهـا نائِلاً وأجوَدُها[2]
... تاجُ لوىّ بنِ غالبٍ وبه سَما لها فَرْعُها ومَحْتِدُها[3]

ج ـ التنديد بالعجم

قال يندد بالعجم فى إحدى قصائده التى أنشاها للمديح :

عرب ملوكها عجم

أحَقُّ عافٍ بدمْعِكَ الهِمَمُ وأحْدَثُ شىء عهدًا بِهَا القِدَمُ[4]
وإنمـا النّاسُ بالملوكِ ومـا تُفْلِحُ عُرْبٌ ملوكُها عَجَمُ[5]
لا أدَبٌ عندهم ولا حَسَبٌ ولا عهـودٌ لهم ولا ذِمَمُ[6]
فى كلِّ أرضٍ وطئتُهـا أمَمٌ تُرْعَى بعبـدٍ كأنَّهُمْ غَنَمُ
يستخشِنُ الخزَّ حين يَلْبَسُـهُ وكان يُبْرَى بظُفْرِهِ القَلَمُ[7]

(١) المنة : التذكير بالجميل .
(٢) نائلا : جوداً .
(٣) لوى : أبو قريش . المحتد : الأصل .
(٤) العافى : الدارس الذاهب . القدم : خلاف الحدوث .
(٥) تفلح : تبقى وتصلح .
(٦) الحسب : الكرم والمال . الذم : جمع ذمة وهو الأمان والعقد .
(٧) الخز : ثياب لا يخالطها قطن ولا كتان .

د ـ وصف الحرب

وقال فى قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر بناءه ثغر الحدث :

الفتح الجليل

أَتَوْكَ يجرُّونَ الحـديدَ كأَنَّما ... سَرَوْا بجيادٍ ما لهنَّ قوائِمُ[١]

إذا بَرَقُوا لم تُعْرَفِ البِيضُ منهمُ ... ثيابُهُمُ من مثلِهـا والعمائمُ[٢]

خميسٌ بشرقِ الأَرضِ والغربِ زَحْفُهُ ... وفى أُذُنِ الحوزاءِ منه زمـازِمُ[٣]

تجمَّعَ فيه كلُّ لِسْنٍ وأُمَّةٍ ... فما يُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلَّا التَّراجِمُ[٤]

فللهِ وقتٌ ذَوَّبَ الغشَّ نارُهُ ... فلم يبقَ إلا صارمٌ أو ضُبارِمُ[٥]

تَقَطَّعَ ما لا يقطعُ الدّرعَ والقَنا ... وفَرَّ من الفرسانِ من لا يُصادِمُ

وقفتَ وما فى الموتِ شكٌّ لواقفٍ ... كأَنَّكَ فى جَفْنِ الرَّدَى وَهْوَ نائِمُ

تمرُّ بكَ الأَبطالُ كَلْمَى هزيمـةً ... ووجْهُكَ وضّاحٌ وثغرُكَ باسِمُ[٦]

تجاوزتَ مقدارَ الشَّجاعةِ والنُّهَى ... إلى قول قومٍ أنت بالغيبِ عالمُ

ضممتَ جناحَيْهِمْ على القلبِ ضَمَّةً ... تموتُ الخوافى تحتها والقوادمُ[٧]

---

(١) السرى : سير الليل . أى أتوا مدججين فى السلاح يجرونه على جوانب الخيل حتى غابت قوائمها تحت الأسلحة فكأنها بلا قوائم .

(٢) البيض : السيوف .

(٣) الخميس : الجيش . الجوزاء : نجمان معترضان فى جوز السماء أى وسطها وهما من البروج . الزمازم : جمع زمزمة وهى صوت الرعد .

(٤) اللسن : اللغة . الحداث : القوم المتحدثون جمع بلا واحد . التراجم : جمع ترجمان .

(٥) الصارم : السيف القاطع . الضبارم : الشجاع ، الجرىء .

(٦) كلمى : جمع كليم بمعنى جريح .

(٧) الجناحان : ميمنة الجيش وميسرته . وقلبه الكتيبة فى وسطه . الخوافى والقوادم : من ريش الطائر استعارها لرجال الجناحين . قيل القوادم عشر ريشات فى مقدم كل جناح والخوافى ما تحتها .

بضربٍ أتى الهاماتِ والنصرُ غائب ... وصار إلى اللَّبَّاتِ والنصرُ قادِمُ[١]
حقرتَ الرُّدَيْنِيّاتِ حتَّى طرحتَها ... وحتّى كأنَّ السيفَ للرُّمْحِ شاتِمُ[٢]
ومن طَلَبَ الفتحَ الجليلَ فإنّما ... مفاتيحهُ البيضُ الخِفافُ الصَّوارِم
نثرتَهُمُ فوقَ الأُحَيْدِبِ كلِّهِ ... كما نُثِرَتْ فوقَ العروسِ الدَّراهِمُ[٣]
تدوسُ بكَ الخيلُ الوُكورَ على الذرى ... وقد كثرتْ حولَ الوُكورِ المطاعِمُ[٤]
تظنُّ فِراخُ الفُتْخِ أنّكَ زُرْتَها ... بأُمَّاتِها وهْيَ العِتاقُ الصَّلادِمُ[٥]
إذا زَلِقَتْ مَشْيَتَها ببطُونها ... كما تتمشَّى فى الصَّعيدِ الأَراقِمُ[٦]

وأمر سيف الدولة غلمانه أن يلبسوا الخيل التجافيف وقصد مفارقين فى خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ليزور قبر والدته :

الخضم المائج

... ولما عرضتَ الجيشَ كان بهاؤُهُ ... على الفارِسِ المرْخَى الذُّؤابةِ مِنْهُمُ[٧]
حوالَيْهِ بحرٌ للتَّجافيفِ مائِجٌ ... يسيرُ بهِ طودٌ من الخيلِ أَيْهَمُ[٨]

(١) الهامات : الرؤوس . اللبات : أعالى الصدر .
(٢) الرديْنيات : الرماح .
(٣) الأحيدب : جبل الحدث .
(٤) الوكور جمع وكر وهو : موضع بيت الطائر . الذرى : أعالى الجبال .
(٥) الفتخ : جمع فتخاء من العقبان وهى اللينة الجناح . والأمات : جمع أم . يقال أمهات للعقلاء وأمات لغيرهم . العتاق : كرام الخيل والصلادم : الشداد .
(٦) الصعيد : وجه الأرض . الأراقم : جمع أرقم وهو الحية فيها سواد وبياض .
(٧) البهاء : الحسن . الذؤابة : ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها .
(٨) التجافيف : جمع تجفاف وهو شىء يلبسه الفرس كالدرع . الطود : الجبل العظيم . الأيهم : الذى لا يهتدى فيه .

تساوَتْ به الأقطارُ حتّى كأنّهُ يُجَمِّعُ أشتاتَ الجبالِ وينظِمُ
وكلُّ فتًى للحربِ فوق جَبِينِهِ من الضَّرْبِ سَطْرٌ بالأسنَّةِ مُعْجَمُ
يمـدُّ يديه فى المُفاضَةِ ضيغمٌ وعينيه من تحت التّريكةِ أرْقَمُ[1]
كأجناسِها راياتُها وشِعـارُها وما لَبِسَتْهُ والسّلاحُ المسمَّمُ
وأدَّبهـا طولُ القتالِ فطرْفُهُ يُشِيرُ إليها من بعيدٍ فتَفْهَمُ
تجاوبهُ فعلاً وما تَسْمَعُ الوَحَى ويُسْمِعُها لَحْظاً وما يتكلَّمُ[2]
تجانَفُ عن ذاتِ اليمينِ كأنّها ترِقُّ لمُيَّافارقينَ وتَرْحمُ
ولو زَحَمَتْها بالمناكبِ زَحْمَةً درَتْ أىُّ سُورَيْها الضّعيفُ المهدَّمُ
على كلِّ طاوٍ تحت طاوٍ كأنّهُ من الدَّمِ يُسْقَى أو من اللحمِ يُطْعَمُ[3]

وقال يمدحه ويذكر نهوضه إلى ثغر الحدث لما بلغه أن الروم أحاطت به :

مصارع العدو

ذى المَعالِى فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تعالَى هكذا هكذا وإلاَّ فلا لا
شرفٌ ينطحُ النّجومَ برَوْقَيْـ ـهِ وعِـزٌّ يقلقلُ الأجبالا[4]
حالُ أعدائِنا عظيمٌ وسيفُ الـ ـدَّوْلةِ ابْنُ السُّيوفِ أعظمُ حالا
كلّما أعجلوا النّذيرَ مسيرًا أعْجَلَتْهُمْ جيادُهُ الإعْجالا[5]

(١) المفاضة : الدرع الواسعة . التريكة : البيضة من الحديد . الأرقم : الحية الذكر .
(٢) الوحى : الصوت .
(٣) الطاوى : الضامر البطن جوعاً .
(٤) الروق : القرن .
(٥) أعجله عن الأمر : بادره قبل أن يتمكن منه .

فأتتهُمْ خوارقَ الأرضِ ما تحـ ـمِلُ إلَّا الحديدَ والأبطالا[1]
خافياتِ الألوانِ قد نَسَجَ النَّقْـ ـعُ عليها براقِعاً وجِـلالا[2]
حالَفَتْهُ صـدورُها والعَوالى لَتَخُرْضَنَّ دونه الأهـوالا
ولتُمْضِنَّ حيثُ لا يجدُ الرُّمْـ ـحُ مَداراً ولا الحِصانُ مَجـالا
... نزلوا فى مصارعٍ عرفوها يندبُونَ الأعمامَ والأخوالا[3]
تحملُ الريحُ بينهم شَعَرَ الهـا مِ وتُذْرى عليهمُ الأوصالا[4]
تنذرُ الجِسم أن يقومَ لديها فتُريه لكلّ عضو مِثالا

وأحدث بنو كلاب حدثاً بنواحى بالس وسار سيف الدولة خلفهم وأبو الطيب معه فأدركهم بعد ليلة بين ماءين يعرفان بالغبارات والحرارات فأوقع بهم وملك الحريم فأبق عليها ، فقال أبو الطيب بعد رجوعه من هذه الغزوة :

القدر الحاصد

بغيرِكَ راعياً عبثَ الذِّئابُ وغيرَكَ صارماً ثَلَمَ الضِّرابُ[5]
وتملِكُ أنفُسَ الثَّقَلَيْن طُـرًّا فكيف تحوزُ أنفُسَها كِلابُ[6]
وما تركوكَ معصيةً ولكنْ يُعافُ الوِرْدُ والموتُ الشَّرابُ[7]

(١) أتتهم : الضمير عائد إلى الجياد .
(٢) النقع : الغبار . الجلال : جمع جل وهو للدابة كالثوب للإنسان .
(٣) المصارع : جمع مصرع وهو اسم مكان من صرعه إذا طرحه على الأرض .
(٤) الهام : جمع هامة وهى الرأس . الأوصال : جمع وصل بالضم والكسر وهو كل عظم على حدته يعنى الأعضاء .
(٥) الصارم : السيف . الضراب : المضاربة .
(٦) الثقلان : الإنس والجن .
(٧) يعاف : يكره ويجتنب . الورد : إتيان الماء .

طلبْتَهُمُ على الأَمــواهِ حتّى تخوَّف أَن تفتّشَهُ السَّحابُ
فبِتَّ لياليــاً لا نومَ فيهــا تخُبُّ بك المسوَّمَةُ العِرابُ[١]
يهُزُّ الجيشُ حولك جانِبَيْهِ كما نَفَضَتْ جناحَيْها العُقابُ
وتسأَل عنهمُ الفلواتِ حتّى أَجابك بعضُها وهمُ الجوابُ[٢]
فقاتلَ عن حريمهمُ وفَــرُّوا نَدَى كفَّيْكَ والنّسَبُ القُرابُ[٣]
وحفظُكَ فيهمُ سَلَفَيْ مَعَــدٍّ وأَنَّهمُ العشائرُ والصِّحــابُ[٤]
تكفكفُ عنهمُ صُمَّ العوالى وقد شرِقَتْ بظُعْنِهُمُ الشِّعابُ[٥]
وأُسْقِطَت الأَجنّــةُ فى الوَلايا وأُجْهِضَت الحوائل والسِّقابُ[٦]
وعَمْرٌو فى ميامِنِهِمْ عُمُورٌ وكَعْبٌ فى مياسِرِهِمْ كِعــابُ[٧]
إذا ما سرْتَ فى آثارِ قــومٍ تخاذلتِ الجماجمُ والــرِّقابُ
... رميتهمُ ببحرٍ من حديدٍ له فى البَرِّ خَلْفَهُمُ عُبابُ[٨]

(١) تخب : تعدو . المسومة العراب : الخيل العربية المعلمة بعلامات تعرف بها .

(٢) الفلوات : القفار .

(٣) الحريم : ما يحميه الرجل ويقاتل عنه وهو هنا كناية عن النساء . القراب : القريب .

(٤) سلفى معد : ربيعة ومضر ابنى نزار بن معد بن عدنان . وسيف الدولة ينتمى إلى ربيعة لأنه من تغلب وبنو كلاب ينتمون إلى مضر لأنهم من قيس .

(٥) الصم : الصلاب . العوالى : صدور الرماح . شرقت : غصت . الظعن : النساء فى الهوادج الواحدة ظعينة مثل سفينة وسفن . الشعاب : جمع شعب بالكسر وهو الطريق فى الجبل .

(٦) الأجنة : جمع جنين وهو الولد فى بطن أمه . والولايا : جمع ولية وهى البرذعة أو نحوها . أجهضت : ولدت ولدها ناقص الخلق . الحوائل : الإناث من أولاد الإبل . والسقاب : الذكور .

(٧) عمرو : قبيلة منهم تفرقت ذات اليمين فصارت عموراً أى صارت فرقاً شتى بعد أن كانت فرقة واحدة . وكذلك كعب وهى قبيلة أخرى تفرقت ذات اليسار فصارت كعاباً .

(٨) العباب : معظم الماء وكثرته .

فمسَّاهُمْ وبُسْطُهُمُ حَـرِيرٌ وصَبَّحهُمْ وبُسْطُهُمُ تُرابُ[١]
... كذا فليسر من طلب الأعادى ومثل سُراك فليكن الطِّلابُ

٤ ـ الشاعر الوصّاف

ا ـ وصف المشاهد الطبيعية

لقد وصف أبو الطيب بحيرة طبرية فى القصيدة التى مدح فيها علىّ بن إبراهيم التنوخى فقال :

البحيرة العذراء

مَنْ طَلَبَ المجدَ فليكنْ كعَلِيٍّ يَهَبُ الألْفَ وهو يبتسِمُ
لولاكَ لم أتْرُكِ البحيرة والـ غَوْرُ دفىء وماؤها شَبِمُ[٢]
والمَوْجُ مِثْلُ الفُحُولِ مُزْبِدَةٌ تَهْدِرُ فيهـا وما بها قَطَمُ[٣]
والطيرُ فوقَ الحَبابِ تَحسبها فرسانَ بُلْقٍ تخونها اللُّجُمُ[٤]
كأنَّهـا والرياحُ تَضْرِبُها جَيْشُ وَغًى هازِمٌ ومُنْهَزِمُ
كأنَّهـا فى نهـارِها قَمَرٌ حَفَّ بهِ مِنْ جِنانها ظُلَمُ
ناعِمَةُ الجِسمِ لا عظامَ لها لها بناتٌ وما لهَـا رَحِمُ[٥]

---

(١) المعنى أنه طرقهم ليلا وهم يفترشون الحرير فتركوا منازلهم وهربوا فصبحهم على وجه الصحراء .

(٢) الغور : المكان المنخفض وهو موضع بعينه يسمى الغور حيث تنسرح بحيرة طبرية فى ديار الشام .

(٣) الفحول : صلاب الجمال . والقطم : ما يعزى الفحول من الميل إلى إناثها .

(٤) الحبب : زبد الماء ، البلق : البيض من الخيل .

(٥) يريد أن فى البحيرة سمكاً .

تَغَنَّت الطَّيْرُ فى جوانبها وجادتِ الروضَ حولَها الدِّيَمُ
فَهْىَ كَمَـاوِيَّةٍ مُطَـوَّقَةٍ جُرِّدَ عنها غشاؤُها الأَدَمُ[1]

ب ـ وصف الحيوان

واتصل المتنبى ببدر بن عمار « فى طبرية من أعمال الشام » ، وكان قائد جيشها وحامى طريقها عام ٣٢٨ هـ فوجده ذا حماسة للعرب ضد العجم ورأى فيه شهامة وشجاعة فأعجب بمزاياه وأخذ يصورها فى مدح لبدر تكاد تتلألأ ألفاظه بمعانيه الرفيعة . ومما حدثوه عن هذا البطل المغوار أنه لاحق أسدين هرب أحدهما منه والثانى كان يضايق الناس بأذاه فخرج إليه ابن عمار وخادعه ببقرة يتلهى بافتراسها حتى عفره بسوطه وقضى عليه فقال المتنبى فى ذلك :

الأسد الآسى

أَمُعَفِّرَ اللَّيْث الهزَبْرِ بِسَوْطه لِمَنِ ادَّخَرْتَ الصَّارِمَ المَصْقُولَا[2]
وَقَعَتْ على الأُرْدُنِّ منْهُ بليَّة نَضَدَتْ بها هامَ الرِّفاق تُلولا[3]
وَرْدٌ إذا وَرَدَ البُحَيْرَةَ شَارِباً وَرَدَ الفُراتَ زَئيرُهُ والنِّيلا[4]
مُتَخَضِّبٌ بِدَمِ الفوارِسِ لا بِسٌ من غيله فى لِبْدَتَيْه غِيلا[5]
ما قُوبِلَتْ عَيْناهُ إلا ظُنَّتَا تَحْتَ الدُّجَى نارَ الفريقِ حُلولا
فى وَحْدَة الرُّهْبانِ إلاَّ أنَّهُ لا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ والتحليلا

---

(١) الماوية : المرآة شبهت بالماء لصفائها . والأدم : يريد به غلاف المرآة فهو يصور سطح البحيرة فى حالة هدوئها ووجهها الأملس اللماع بمرآة كبرى مطوقة بالبساتين .
(٢) عفره : إذا رماه فى التراب . والهزبر : الأسد . والصارم : السيف القاطع .
(٣) كان من بلاء هذا الأسد أن قتل الكثيرين حتى أصار من رؤوسهم تلولا .
(٤) الورد : صفة للأسد . أى ذو لون وردى ضارب إلى الحمرة .
(٥) متخضب من الخضاب وهو الصبغ . الغيل : الغاب الملتف شجره . ولبدته : شعر عنقه .

يطأُ الثَّرَى مترفِّقاً من تِيهِهِ ... فكأنه آسٍ يَجُسُّ عَليلا[1]

ويَرُدُّ غُفْرَتَهُ إلى يا فوخِـــه ... حتى تَصيرَ لرَأْسِهِ إكليلا[2]

وتَظُنُّهُ ممـــا يُزَمْجِرُ نَفْسُهُ ... عنها لِشِدَّةِ غَيْظه مَشْغولا[3]

قَصَرَتْ مَخَافَتُهُ الخُطى فكأنّما ... رَكِبَ الكَمِيُّ جَوادَهُ مَشْكولا[4]

أَلْوَى فريسَتَهُ وبَرْبَرَ دونهـــا ... وقَرُبْتَ قُرْباً خالَهُ تطفيلا[5]

ما زالَ يَجْمَعُ نَفْسَهُ فى زَوْرِه ... حتى حَسِبْتَ العَرْضَ منه الطولا[6]

ويَدُقُّ بالصَّدْرِ الحِجارَ كأنه ... يبغى إلى ما فى الحضيض سبيلا[7]

وكأنَّهُ غَرَّتْهُ عَيْنٌ فادَّنَى ... لايُبْصرُ الخَطْبَ الجَليلَ جليلا[8]

سَبَقَ التِقَاءَكَهُ بوثبةِ هاجِمٍ ... لَوْ لَمْ تُصَادِمْهُ لجازَكَ ميلا[9]

خَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ وقد كافحتَهُ ... فاستنْصَرَ التسليم والتَّجديلا

قَبَضَتْ مَنِيَّتُهُ يَدَيْهِ وعُنْقَهُ ... فكأنَّمـــا صـــادفتَه مَغْلولاَ

---

(١) الآسى : الطبيب .

(٢) الغفرة : شعر عنقه وقفاه . . وفى البيت والذى قبله تصوير متحرك يتمثله المرء مأخوذاً بسحر البيان .

(٣) أراد المتنبى — حسب شروح شارحيه — أن يقول (تظنه نفسه عنها مشغولا من صياحه) وبعضهم نصب نفساً على أنها مفعول ليزمجر أى يصيح بها . والصواب يتضح بإبدال الياء وبالتاء فى فعل يزمجر فتصير نفسه فاعلا لتزمجر وينساب المعنى .

(٤) مشكول : مقيد ، والكمى : المدجج فى السلاح .

(٥) بربر : صاح .

(٦) الزور : الصدر .

(٧) الحضيض : أسفل الأرض .

(٨) أدنى : قام بالدنو .

(٩) فى هذا البيت من مبالغات المتنبى مثال .

سَمِعَ ابنُ عَمَّتِهِ بهِ وبِحالِهِ فَنَجا يُهَرْوِلُ أَمْسِ منْكَ مَهُولا[١]
وأَمَرُّ مِمَّا فَرَّ منه فِـرارُهُ وكقَتْلِهِ أَنْ لا يَموتَ قَتيلا[٢]

ج ـ وصف غير المنظور

وخاب أمل المتنبي فى كافور الذى استدعاه من الرحلة وأغراه بالكثير فلما استعصى عليه تحقيق ما ابتغاه سمّ المقام بمصر لا سيما يوم أصابته الحمى فعبر عن تبرمه وحقده بهذه الأبيات التى وصف فيها الداء :

الحمى الخفية

أَقَمْتُ بأَرْضِ مصرَ فلا ورائى تَخُبُّ بى الرِّكابُ ولا أَمامى
ومَلَّنِىَ الفراشُ وكان جَنْبِى يَمَلُّ لقاءَهُ فى كلِّ عام
قليلٌ عائدى سَقِمٌ فُؤادى كثيرٌ حاسِدى صَعْبٌ مَرامى
عليلُ الجِسْمِ مُمْتَنِعُ القيام شديدُ السُّكْرِ من غيرِ المُدام
وزائرتى كأَنَّ بها حَيـاءً فليسَ تزورُ إلا فى الظلامِ[٣]
بذلتُ لها المطارِفَ والحشايا فعافَتْها وباتَتْ فى عِظامى[٤]
يضيقُ الجِلْدُ عن نفسى وعنها فتوسِعُهُ بأَنواعِ السَّقـامِ
إذا مـا فارَقَتْنى غَسَّلَتْنى كأَنا عاكِفانِ على حَرامِ

(١) يريد بابن عمته أسداً من جنسه . والمهول : كالذى أصابه الهول والخوف .
(٢) طرح المتنبي على عادته معانى الحكمة فى هذا البيت فى ذم الفرار وتقبيحه .
(٣) يريد بالزائرة الحمى والأوصاف التى ذكرها تنطبق على (حمى البرداء المسماة بالملاريا) .
(٤) المطارف : جمع مطرف وهو رداء من خز مخطط من جانبيه . والحشايا : جمع حشية وهو ما حشى من الفراش .

كأنَّ الصُّبْحَ يَطْرُدُها فَتَجْرى ... مَدامعُها بأَرْبَعَةٍ سِجامِ[1]

أُراقبُ وقتها من غير شوقٍ ... مراقَبَةَ المَشُوق المُسْتَهامِ

ويَصْدُقُ وعدُها والصدقُ شَرٌّ ... إذا أَلقاكَ فى الكُرَبِ العِظامِ

يقولُ لى الطبيبُ أكلتَ شيئاً ... وَداؤُكَ فى شرابكَ والطعامِ

وما فى طِبِّه أنى جَوادٌ ... أَضَرَّ بِجِسْمه طُولُ الجِمَامِ[2]

تَعَوَّدَ أَنْ يُغَيِّرَ فى السَّرايا ... ويَدْخُلَ من قَتَامٍ فى قَتامِ[3]

فإنْ أَمْرَضْ فمامَرَضَ اصطبارى ... وإنْ أُحْمَمْ فما حُمَّ اعتزامى

وإنْ أَسْلَمْ فما أَبقى ولكنْ ... سَلِمْتُ من الحِمام إلى الحِمامِ[4]

تَمَتَّعْ من سُهادٍ أو رُقادٍ ... ولا تَأْمُلْ كَرى تحت الرِّجامِ

فإن لثالثِ الحالَيْن معنًى ... سِوَى معنى انتباهِكَ والمنامِ

---

(١) فى شرح ابن جنى أن الحمى تفارق عند الصبح فكأن الصبح يطردها ويكون بعد ذهابها العرق وهو الذى عبر عنه الشاعر بالمدامع المنسجمة أى السائلة .

(٢) الجمام : الراحة .

(٣) السرايا : جمع سرية وهى قطعة من الجيش تسرى ليلا إلى العدو . والقتام : غبار الحرب .

(٤) الرجام : القبور أو الحجارة الكبيرة على القبور .

وفى هذين البيتين الأخيرين اللذين أنهى بهما المتنبى قصيدته فى وصف مرضه بمصر طرح فكرة فلسفية لها صلة بفلسفة الماديين والأبيقوريين لكنه بالبيت الأخير أوجد مجالا للكلام على سر الموت الذى لم يكن يقظة ولا مناماً . وفلاسفة عصرنا فيهم من ذهب إلى أن ثمة حالة ثالثة ليست موتاً ولا حياة فهى بينهما وأرى للمتنبى فضل السبق إلى هذه الفكرة إذا كان يرمز بالسهاد والرقاد إلى الحياة والموت .

٥ ـ الشاعر الحكيم

١ ـ نظم الحكيم

تمرس أبو الطيب بكل شأن من شؤون الحياة فذاق حلوها ومرها ، وعرف بؤسها ونعيمها وأحاط بثقافتها وعاش بتجاربها ومحنها ، ولم يقنع بما تعلم فكان دائب التطلع إلى كل جديد وقد تمثل هذا فى معانيه التى اقتبست من غموض الصوفية ومن مذاهب الفلسفة التى عاشت فى عصره فظهرت فى شعره نظراته إلى الحياة وتجاربه فى الغلاب والطموح وكأنه أوتى الحكمة وفصل الخطاب فى كثير من شعره ، وهذه أبيات قليلة تردد فى كل زمان ومكان ، تجرى مجرى الأمثال وتعبر أصدق تعبير عن كثير من المعانى والأمور على اختلاف الحوادث والعصور : وتكاد كل فكرة تخطر ببال أن تجد لها مكاناً فى شعر المتنبى ! . .

ذَلَّ مَنْ يغْبِطُ الذَّليلَ بعيشٍ ... رُبَّ عيشٍ أخَفُّ منْهُ الحِمـامُ[1]

من يَهُنْ يَسْهُل الهوانُ عليـه ... ما لجُرْحٍ بميِّتٍ إيـلامُ

أفاضلُ الناسِ أغراضٌ لذا الزمنِ ... يَخْلُو من الهَمِّ أخلاهُمْ من الفِطَنِ

إذا أنْتَ أكْرَمْتَ الكريمَ مَلَكْتَهُ ... وإنْ أنْتَ أكرَمْتَ اللئيمَ تمرَّدا

ووضعُ النَّدَى فى موضعِ السَّيف بالعلا ... مُضرٌّ كوضعِ السيف فى موضعِ النَّدَى

ما كلُّ مايَتَمنَّى المَرْءُ يدرِكُهُ ... تجرى الرِّياحُ بما لا تَشْتَهِى السُّفُنُ

ومنْ نَكَدِ الدنيا على الحُرِّ أنْ يَرَى ... عدوًّا لَهُ ما منْ صَدَاقَته بُدُّ

وإذا كانتِ النفوسُ كباراً ... تَعِبَتْ فى مُـرادها الأجْسَامُ

وإذا أتَتْكَ مَذَمَّتِى من ناقصٍ ... فَهِىَ الشَّهادَةُ لى بأنِّى كاملُ

---

(١) الحمام : الموت .

واحتمالُ الأذى ورؤية جانيـ ـه غـذاءٌ تَضْوَى به الأَجْسَام

وإذا ما خَـلا الجبانُ بأَرضٍ طَلَبَ الطعْنَ وَحْدَهُ والنِّزالا

تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ عما مَضى منها وما يُتَوَقَّعُ
ولمَنْ يُغَالِطُ في الحقائق نَفْسَهُ ويسومُها طَلَبَ المِحالِ فتطمَعُ

وأتعَبُ خلقِ الله من زاد هَمُّه وقَصَّر عما تَشْتَهي النفسُ وُجْدُهُ

ومـا بَلَدُ الإنسانِ غيرُ الموافقِ ولا أَهْلُهُ الأَدنَوْنَ غيرُ الأَصادِقِ

لولا المشقَّةُ سَادَ الناس كُلُّهُمُ الجودُ يُفْقِرُ والإقدامُ قَتَّالُ

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالَةِ في الشَّقاوَة يَنْعَمُ
ومن البَلِيَّةِ عَذْلُ مَنْ لا يَرْعَوِي عَنْ جَهْلِهِ وخطابُ من لا يَفْهَمُ
ومن العَداوَةِ مَا يَنالُكَ نفعُهُ ومنَ الصَّداقَةِ ما يَضُرُّ ويُؤْلِمُ

أَرى كُلَّنَا يَبْغي الحياةَ لنَفْسِـهِ حريصاً عليها مُسْتهاماً بها صَبّا
فَحُبُّ الجَبانِ النفْسَ أَورَدَه التُّقى وحُبُّ الشجاع النفسَ أَورَدَهُ الحَرْبا

إذا ساء فعْلُ المرْءِ ساءتْ ظنونُهُ وصَدَّقَ ما يَعْتادُهُ من تَوَهُّم

ب ـ ضرب الأمثال

وإلى جانب تلك الحكم السامية التى نظمها المتنبى وأودعها شعره جرت قريحته بكثير من المعانى التى ذهبت مذهب الأمثال وحفظها الناس جيلا بعد جيل وعصراً بعد عصر . وإليكم بعضاً منها :

إنَّ المعارفَ فى أَهْلِ النُّهَى ذِمَمُ
أنا الغريقُ فما خَوْفِى من البَلَلِ
ليس التكحُّلُ فى العينينِ كالْكَحلِ
ومن وَجَدَ الإحسانَ قيدًا تقيَّدا
وفى عُنُقِ الحَسْناءِ يُسْتَحْسَنُ العِقْدُ
مصائبُ قوم عند قومٍ فوائد
ومن قَصَدَ البَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّواقيا
الجوعُ يُرْضِى الأُسُودَ بالجِيَفِ
ولا بُدَّ دونَ الشَّهْد من إبَر النَّحْل
وبِضِدِّها تتميَّزُ الأَشياءُ
رُبَّ عيشٍ أَمَرُّ منــه الحِمام

من مصادر البحث

١ ــ المراجع العربية

أبو منصور الثعالبي : « يتيمة الدهر » طبعة دمشق سنة ١٣٠٤ هـ ، وطبعة الصاوى بمصر سنة ١٩٣٤ .

يوسف البديعى : « الصبح المنبى فى الكشف عن حيثية المتنبى » . على هامش الطبعة الأولى لشرح العكبرى لديوان المتنبى سنة ١٣٠٨ هـ .

ابن خلكان « وفيات الأعيان » الجزء الأول طبع البارون أوسلان بباريس سنة ١٨٣٨ م وطبعة القاهرة سنة ١٣١٠ هـ .

عبد القادر البغدادى « خزانة الأدب » طبع بولاق بمصر سنة ١٢٩٩ هـ .

المقريزى « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » طبعة مصر سنة ١٣٢٤ هـ .

أبو البقاء العكبرى « البيان فى شرح ديوان أبى الطيب المتنبى » طبعة مصر سنة ١٩٢٦ م .

ناصيف اليازجى « العرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب » طبعة بيروت سنة ١٣٠٥ هـ . وكذا ديوان المتنبى فى نسخه المتعددة .

جمال الدين القفطى : « إنباه الرواة على أنباه النحاة » ج ٢ طبعة دار الكتب بمصر سنة ١٩٥٢ .

ابن الأنبارى : « نزهة الألباء فى طبقات الأدباء » طبع القاهرة سنة ١٢٩٤ هـ .

أبو الفرج الأصفهانى : « الأغانى » طبعة بولاق .

الجرجانى : « الوساطة بين المتنبى وخصومه » طبع صيداء سنة ١٩١٣ م .

شفيق جبرى : « المتنبى » طبع دمشق سنة ١٩٣٠ م .

عبد الوهاب عزام : « ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام » طبع بغداد سنة ١٩٣٦ ،

آدم ميتز وترجمة الدكتور أبى ريدة : « الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى » طبع مصر سنة ١٩٤٠ .

أحمد أمين : « ظهر الإسلام » الجزء الثانى طبع مصر سنة ١٩٥٢ .

عباس محمود العقاد : « مطالعات فى الكتب والحياة » طبع مصر سنة ١٩٢٤ .

(من ص ١١٨ – ١٧٩) .

محمود محمد شاكر : « المقتطف » الجزء الأول من المجلد الثامن والثمانين سنة ١٩٣٦ عدد خاص بالذكرى الألفية .

طه حسين : « تجديد ذكرى أبي العلاء » طبع مصر ١٩٥١ .

شوقي ضيف : « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » الطبعة الأولى بمصر سنة ١٩٤٥ .

بلاشير : « دائرة المعارف الإسلامية » الترجمة العربية طبع ؛ مصر (من ص ٣٦٣ — ٣٧١) .

أحمد رمزي : « مسير المتنبي في مصر إلى العراق » . مجلة الرسالة .

٢ — المراجع الأجنبية

Gustave Schlumberger : "Un Empereur Byzantin au dixième siècle : Nicephor Phocas" Paris 1890.

R. Blachère : "un poète arabe du IVe siècle de l'Héjire (Xe siècle de j.c.) about-tayyibe al Motanabbi". Paris 1935. Essais d'Histoire littéraire.

Marius Canard : "Sayf al daula : Recueil de textes relatif à l'Emire Sayfal Daula de Hamadanide". Alger 1934.

Dieterice : "Mutanabbi und Seifuddaula" Lydeen 1874.

"Al Mutanabbi, recueil publié à l'occasion de son millénaire", Beyrouth 1936.

Dvorak : "Abu Firâs" Lyden 1895.